من مقالاتي

بقلم الدكتور /
صالح بن علي أبو عرّاد
أستاذ التربية الإسلامية المشارك في جامعة الملك خالد

١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقدمة :

الحمد لله الذي في السماء مُلكه ، وفي الأرض سُلطانه ، وفي البحر عظمته ، وفي الجنة رحمته ، وفي النار سطوته ، وفي كل شيءٍ حكمته وآياته . والصلاة والسلام على من شرح الله صدره ، ورفع ذكره ، ووضع عنه وزره ، وعلى آله الأطهار ، وصحابته الأخيار ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين ، وعنا معهم برحمتك وفضلك يا أكرم الأكرمين . وبعد :

فهذه مجموعة من الكتابات المقالية في موضوعاتٍ متنوعة ، ومجالاتٍ مختلفة ، كنتُ قد كتبتها في تواريخ مُختلفة ، وعلى مدى سنواتٍ طويلة ، وهي موضوعاتٍ تمتاز في مجموعها بأنها غير مرتبطةٍ بمناسبةٍ معينة أو بحدثٍ ما .

وعلى الرغم من أنه تم نشرها في بعض المجلات والدوريات المحلية ، وفي بعض المواقع والمنتديات على شبكة الإنترنت ، إلا أنني رأيت أن أعيد النظر فيها إضافة وتعديلاً ، وحذفا وتغييرا ، لتصدر بين دفتي كتابٍ واحدٍ يحمل اسم (**من مقالاتي**) ، ويشتمل على خمسة عشر مقالاً مطولاً أضعها بين يدي الأخوة القراء ، فلعل الله تعالى أن ينفع بها قارئا أو سامعا ، وبما اشتملت عليه من أفكارٍ وآراءٍ ومضامين في مختلف المجالات التربوية ، والدعوية ، والثقافية ، والأدبية ، والتوعوية ، والاجتماعية ، ...إلخ .

وختاما : أتقدم بخالص الشكر وعظيم التقدير لكل من أسهم في كتابتها ومُراجعتها وطباعتها ونشرها ، وعسى ألاَ نُحرم جميعا من دعوةٍ صالحةٍ يقبلها الله تعالى من عبدٍ صالحٍ . والحمد لله رب العالمين .

أخوكم الدكتور / صالح بن علي أبو عرَّاد
عضو هيئة التدريس بقسم التربية وعلم النفس
ومدير مركز البحوث التربوية
بكلية المعلمين في جامعة الملك خالد بأبها
E.mail:abo_arrad@hotmail.com

أبها في ٢٨ / ٥ / ١٤٢٩هـ

=-=-=-=

أمانة الكلمة عند المُبدع المُسلم

-.-.-.-

إهـــــداء :

- **إلى الذين يؤمنون بالله تعالى ربا ،وبالإسلام دينا ، وبمُحمدٍ r نبيا ورسولا .**
- **إلى من يؤمنون برسالة الإنسان المسلم المبدع في كل مجالٍ من مجالات الحياة ، وكل فنٍ من فنون الإبداع ، وكل ميدانٍ من ميادين العلم والمعرفة .**
- **إلى من يحكمون على مُجريات الأمور بعقولهم الواعية ، ويُحاربون الهوى في نفوسهم الضعيفة .**
- **إلى من قالوا خيرا فغنموا ، أو سكتوا عن شرٍ فسلموا .**
- **إلى من يؤمنون ويُصدقون بقوله تعالى : { وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا } .**

أقول : الحمد لله القائل : **{ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ }** (سورة قَ : الآية ١٨) . والصلاة والسلام على نبينا ومعلمنا وقائدنا وقدوتنا محمدٍ بن عبد لله الذي صح عنه أنه قال : " **وهل يكُبُ الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائدُ ألسنتهم** " (رواه الترمذي ، الحديث رقم ٢٦١٦ ، ص ٥٩٠) .

أما بعد ؛

فمن العجيب أن نكون محاسبين عندما نسكت ، لأن الأصل في ذلك أن نكون محاسبين عندما نتكلم ؛ وما ذلك إلا لأن " الكلمة بما أودع الله فيها من الأسرار والتأثير ، وبما هيأ الله لها من القبول في نفوس البشر ، ذات فعلٍ عظيمٍ وخطير ، قد يبلغ حد السحر ، فتسحر [أسماع] الناس ، وتموه الواقع ، ولاسيما حين تتجلى في معارض التأثير والخصومة ؛ إذ تصور الحق باطلا والباطل حقا ، أو تجعلُ مطية يبلغ بها الدعيُ ، حين يعجز عن ركوبها العيي " (١) .

من هنا ، فإن هدي ديننا الإسلامي الحنيف ، وتعاليم وتوجيهات تربيته الإسلامية توجب علينا أن نُحاسب أنفسنا قبل أن نُحاسب ، وأن نُراقب الله تعالى في كل قولٍ أو عملٍ أو نية ، وأن يكون هدينا في ذلك قوله تعالى : **{ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }** (سورة الأنعام : ١٦٢) .

ولهذا فقد حث ديننا الإسلامي الحنيف ، ودعت تربيته الإسلامية السامية إلى أن يلتزم الإنسان المسلم في قوله ـ على وجه الخصوص ـ بالهدي الرشيد والقول السديد الذي قال فيه تعالى : **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا }** (سورة الأحزاب : الآية رقم ٧٠) .

وأن يحذر من سيئ القول وفاحش الكلام إلا في حالة الظلم البيِّن تحقيقًا لقوله تعالى : **{ لا يُحِبُّ اللهُ الجَهْرَ بالسُّوءِ مِنَ القَوْلِ إلا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا عَلِيمًا }** (سورة النساء : الآية ١٤٨) .

وما ذلك إلا لعظيم شأن الكلمة التي يقول فيها أحد الكُتاب : " ستظل الكلمة شمسا تضيء أو نارا تحرق .. وهي مصدر هواية أو غواية ، وأداة هدم أو بناء ، وينبوع سعادة أو شقاء ، ونذير حرب أو بشير سلام ، وريح إيمان أو وسوسة شيطان ، ودعوة فضيلة أو إغراء برذيلة " (٢) .

وإذا كانت الكلمة المنطوقة أو المكتوبة تمثل أهم أدوات التعبير عن الإبداع ، فإن مهمة المبدع أيا كان نمط إبداعه أو مجاله أو ميدانه ، أن يجعل من محاولاته الإبداعية وبيانه اللفظي أو الكتابي سحرا حلالا يدعو إلى الفضيلة ، ويُحذِّر من الرذيلة ، لاسيما أن " كل أداء [أو عملٍ أدبيٍ] تقبله الأذواق السليمة ، ولا ينعكس أثره السيئ على الأخلاق ، ولا يُثير الغرائز الحيوانية ؛ يُعدُ من الأدب المقبول ، وإن لم يكن في خدمة الدين المباشرة والمنقطعة " (٣) .

وما ذلك إلا لأن أمانة الكلمة تفرض على المبدع المسلم أن يكون إبداعه نظيفا طاهرا زكيا ، لأنه ينطلق من نفسٍ سويةٍ زكيةٍ ، ويُعبِّر عن مشاعر حيةٍ فياضةٍ زاخرةٍ بكل معاني الحب الصادق ، ويلتقي مع عناصر الفطرة السليمة السوية التي قال فيها الحق تبارك وتعالى :**{ فِطْرَتَ اللهِ التِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا }** (سورة الروم : من الآية ٣٠) .

ومن هنا ، فإن على المبدع في أي فنٍ أدبيٍ أو فكريٍ أن يحمل هم تبليغ الآخرين بالحق ، مع الاحتفاظ بكل مقومات إبداعه الإيجابية الكفيلة بتقويم السلوك الخاطئ ، ومُعالجة الأخطاء المشاهدة ؛ فإن لم يكن ذلك ممكنا فلا أقل من أن يحذر الإساءة إلى المتلقي الذي أرعاه سمعه ، وبخاصةٍ أننا مُحاسبون عن كل ما نقوله أو نتلفظ به .

وفي هذا الشأن يقول أحد الباحثين نقلاً عن الدكتور / سعد أبو الرضا : " إن الأدب بلاغ مثل الرسالة يصدع بها الرسول ، فيجب أداء البلاغ بطريقةٍ لا تتجاوز عقيدة ولا تُغفلُ سلوكًا إسلاميًا " (٤) .

وإذا كانت الكلمة كما يقول أحد الباحثين " أمانة قبل أن تكون بيانا ، ولذلك كانت جهادا كما كانت جمالا " (٥) ؛ فقد علمنا معلم الناس الخير r من خلال الكلمة أن نحرص من منطلق الإيمان على المنطق السديد والقول الرشيد ؛ فإن لم يكن ذلك كذلك ، فلا أقل من الصمت مصداقا لما صحَّ عن أبي هريرة t ، عن النبي r ، أنه قال : " **.. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت** " (رواه البخاري ، الحديث رقم ٦١٦٣ ، ص ١٠٦٩) .

وهنا يبرز أثر التربية الإسلامية في هذا الشأن حيث إن النبي الكريم ـ عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ حثنا في هديه التربوي العظيم على تجنب السيئ من

القول ، فإن لم يكن ذلك مُمكنا ؛ فلا أقل من الستر وتجنب المجاهرة بالمعاصي ؛ وهو ما يؤكده الحديث الصحيح عن سالم بن عبد الله قال : سمعت أبا هريرة t ، يقول : سمعت رسول الله r ، يقول :

"***كل أمتي معافى إلا المجاهرين***" (رواه البخاري ، الحديث رقم ٦٠٦٩ ، ص ١٠٥٩) .

والمعنى أن الدين الإسلامي وتربيته الإسلامية تحمِّل المبدع المسلم شاعرا كان أو قاصا أو كاتبا أو باحثا أو مترجما أو ناقدا أو دارسا أو غير ذلك " مسئولية الكلمة التي يكتبها أو ينطقها ، لما لها من أثرٍ في نفوس وتوجهات المتلقين " [٦] ؛ فلا كفر ولا فسوق ولا كذب ولا اختلاق ، ولا تبذُّل ولا انحلال ، ولا إسفاف ولا مجون ، ولا فضائح ولا شذوذ ، ولا انشغال بما لا فائدة منه ولا نفع فيه ؛ لأن أمانة الكلمة تفرض على المبدع المسلم أن " يُنزِّه قلمه ولسانه عن أن يخرج على الناس بعمل أدبي ليس من ورائه غاية جادة أو هدفٌ مُثمر ؛ لأنه يحرص على ألا يضيع جهده وجُهد قارئيه عبثا دون فائدة . لذلك فهو لا يكتب إلا بعد أن يسأل نفسه عدة أسئلة :

لماذا أكتب ؟ وماذا أكتب ؟ وكيف أكتب ؟ ولمن أكتب ؟ " [٧] .

وفي هذا المعنى يقول الشاعر العربي المسلم الذي ـ لا شك أنه ـ استشعر أمانة ومسؤولية الكلمة :

وما من كاتبٍ إلا سيفنى ... ويُبقي الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شيء ... يسُرك في القيامة أن تراه

وإن أمانة الكلمة عند المبدع المسلم تفرض عليه أن يعتز أولا بهويته المسلمة المتميزة في نظرتها للكون والإنسان والحياة ، وأن يحذر ثانيا ـ كل الحذر ـ من الانجراف المقصود أو غير المقصود مع تلك التيارات والمذاهب الفكرية الوافدة من الشرق أو الغرب ، البعيدة كل البعد عن مقومات الإبداع الأصيل الجميل الجليل الذي يسمو بالإنسان فكرا وروحا وسلوكا .

وكم هو مؤسفٌ ومؤلمٌ أن يتخلى بعض المبدعين المسلمين عن هويتهم الإسلامية ، ومبادئهم الكريمة ، وأخلاقهم الفاضلة انسياقا وراء هوى النفوس الأمّارة بالسوء ، أو انجرافا مع بريق التيارات المنحرفة ، أو انبهارا ساذجا بما يُسمى (النظريات الفنية ، أو المذاهب الإبداعية ، أو المدارس المعاصرة) التي انخدع بها بعض أبناء الإسلام في عصرنا ؛ فكانت النتيجة المؤلمة مُتمثلة في " صدور بعض أدبائنا عن نظرات غريبةٍ ، بعيدةٍ عن الأخلاق والعفة في علاقة الرجل بالمرأة ، وتبنيهم نظرات الكشف والعُري ، وتضخيم جانب الجنس على حساب العواطف الأخرى ، مُتابعين بعض فلاسفة أوروبا وشعراء الجنس فيها ، مخالفين في ذلك قيمنا وأعرافنا وطبيعة أمتنا " [٨] .

وإن أمانة الكلمة عند المبدع المسلم تعني الفهم الحقيقي لطبيعة تلك الكلمة ؛ فالكلمة الطيبة تختلف ـ بلا شك ـ في طبيعتها عن الكلمة الخبيثة

؛ وإذا كان الله ـ جل في علاه ـ قد حسم ذلك الأمر في كتابه العزيز بقوله تعالى في بيان طبيعة الكلمة الطيبة : { **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ** } (سورة إبراهيم : الآية ٢٤) ، وقوله تعالى في بيان طبيعة الكلمة الخبيثة : { **وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ** } (سورة إبراهيم : الآية ٢٦) ؛ فإنه ـ جل جلاله ـ يُبيّن الغاية من ذلك بقوله سبحانه : { **وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** } (سورة إبراهيم : من الآية ٢٥) .

وهنا يحضرني قولٌ جميلٌ ، ومُبدع ، ومُنصفٌ في هذا المعنى لأحد الكُتاب جاء فيه : " هذا الفهم لطبيعة الكلمة وقيمتها ، لا يعني الحجر على التعبير ، أو التضييق على أرباب البيان ، فالدين متينٌ لا يضيقُ بحاجات الإنسان الفطرية ، وميله الطبيعي إلى اللهو البريء .. والدين كما أن فيه (العزائم) فيه (الرُخص) . ومساحات التعبير مُشرعة وواسعة كما هو المباح الفقهي بالنسبة للمُحرم الفقهي "(٩) .

إن الأديب حريٌ به ألا يسكت عن التشتت والتشرذم والتفكك العربي الإسلامي ، وما يترتب عليه من عدم التعاون والتضامن وغياب مظاهر وحدة الأمة في شتى مجالات الحياة وميادينها ؛ إذ إن أمانة الكلمة تتمثل في مظاهر شتى من حياة الإنسان ؛ فهي تتمثل في فهم عقيدة التوحيد فهمًا صحيحًا والاجتهاد في تفعيلها في سلوكيات المجتمع المسلم تفعيلا إيجابيًا .

كما أن أمانة الكلمة تتمثل في التمسك الصادق الواعي بتعاليم الدين الحنيف ، وتربيته السامية ، وتوجيهاته السديدة ، في كل شأنٍ من شؤون الحياة ، وكل جزئيةٍ من جزئياتها القولية و العملية .

إن أمانة الكلمة تتمثل في تنمية الإرادة الحرة الأبية لدى أبناء المسلمين في كل زمانٍ ومكان ، وتعريفهم بعِظم المسؤولية الملقاة على عواتقهم كبارًا كانوا أم صغارًا ، ذكورًا أم إناثًا انطلاقا من مبدأ كلكم راعٍ ، وكل راعٍ مسؤولٌ عن رعيته .

وختاما أقول : أما و قد علِمنا أن من الخطأ السكوت عندما ينبغي الكلام ، وأنه لا ينبغي أن نتكلم حينما يكون الصمت أنفع ، فإن النفوس المؤمنة بالله تعالى ، المتشبعة بهدي القرآن الكريم والسنة المطهرة ، والألسن الصادقة المبدعة التي تخشى الله تعالى وتتقيه ، تحيا بين هذا وذاك حياة عملية شاملة ، وتتمثل أمانة الكلمة في كل شأنٍ من شؤون هذه الحياة ، وكل جزئيةٍ من جزئياتها ؛ لاسيما في (أزمنة الفتنة) التي نحتاج فيها أن نُبدع في معرفة متى يكون

الكلام ، ومتى يكون الإمساك عنه ، وأن ندير الدفة في شتى فنون الإبداع بمهارةٍ وحكمة .. فهل لنا أن نفعل ؟؟!!

إن أمانة الكلمة ـ أيها الأحباب ـ مسؤوليتنا جميعا ، وهي تفرض علينا أن نستشعر بحق عِظم هذه الأمانة التي تستوجب أن يتواءم سلوك المثقف والمبدع المسلم وواقعه التربوي العملي ، مع الفكر والثقافة التي يدعو إليها ويؤمن بها في قوله وعمله وفكره .

أسأل اللّه العلي القدير أن يوفقني وإياكم لجميل القول ، وصالح العمل ، وأن يكتب لنا جميعا التوفيق والسدّاد ، والهداية والرشاد ، والحمد للّه رب العباد .

=-=-=-=-=

المراجـــع

ـ القرآن الكريم .

ـ محمد بن إسماعيل البخاري . (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) . **صحيح البخاري** . الرياض : دار السلام .

ـ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي . (د . ت) . **سُنن الترمذي** . تعليق العلامة المحدّث / محمد ناصر الدين الألباني . الرياض : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع .

الهوامش

١ـ أحمد آل مريع . (١٤٢٥هـ) . المباح اللفظي .. المباح الفقهي . المجلة الثقافية . العدد (٥٩) . السنة (٢) . **صحيفة الجزيرة** . الرياض : مؤسسة الجزيرة الصحفية . الإثنين.٢٨ ربيع الأول ١٤٢٥هـ ، ص (١١) .

٢ـ نجيب الكيلاني . (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) . **آفاق الأدب الإسلامي** . ط (٢). بيروت : مؤسسة الرسالة ، ص (٧٢) .

٣ـ حسن بن فهد الهويمل . (١٤٢٦هـ) . النص الهادف تربية وتهذيب . **صحيفة الجزيرة** . العدد (١١٩٥٤) . الثلاثاء ١٤ جمادى الأولى ١٤٢٦هـ الموافق ٢١ يونيو ٢٠٠٥م . ص (١٢) .

٤ـ محمد أحمد حمدون . (١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م) . **نحو نظرية للأدب الإسلامي** . ضمن إصدارات المنهل رقم (٧) . جدة ، ص (٣٣) .

٥ـ أحمد آل مريع . (١٤٢٥هـ) . مرجع سابق ، ص (١١) .

٦ـ محمود شاكر سعيد . (١٤١٣هـ) . **في الأدب الإسلامي** . الرياض : دار المعراج الدولية للنشر ، ص (٧٥) .

٧ـ محمود شاكر سعيد . (المرجع السابق) ، ص (٧٧) .

٨ـ محمد عادل الهاشمي . (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) . **في الأدب الإسلامي تجارب .. ومواقف** . دمشق : دار القلم ، ص (٦٦) .

٩ـ أحمد آل مريع . (١٤٢٥هـ) . مرجع سابق ، ص (١١) .

المجالس الثقافية

(ماهيتها ، خصوصيتها ،

ودورها في نشر ثقافة الحوار الهادف)

=-=-=-=-=-=

تمهيد :

الحمد للّه وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، أما بعد ؛

فقد عُرفت الصالونات أو المجالس الثقافية في المجتمع المسلم منذ وقتٍ مُبكرٍ ، حيث تُشير بعض المراجع إلى أنها عُرفت في بداية عهد الدولة الأموية ، وازدهرت في عهد الدولة العباسية ، لاسيما في قصور الخُلفاء والوزراء والأمراء والولاة وعلية القوم في المجتمع ، وكانت هذه المجالس تستقبل العُلماء والأدباء والشعراء والبُلغاء والمفكرين و نحوهم ، وتشهد سجالاتٍ فكريةٍ وثقافيةٍ أسهمت بلا شك في التطور الثقافي ونشر المعارف والعلوم المختلفة في المجتمع .

كما أن هذه المجالس الثقافية كانت ـ كما أشارت إلى ذلك بعض كتب التراث الإسلامي ـ تمتاز ببعض " الآداب الخاصة ، والتقاليد المعيّنة التي يجب أن يراعيها أولئك الذين كان يُسمح لهم بحضورها " (١) .

وليس هذا فحسب فقد كان للمرأة نصيبٌ ومُشاركة جيدة في هذه المجالس الثقافية ، وهو ما أشار إليه أحد الكُتاب بقوله :

" وكثيرا ما كانت الأديبات من المسلمات يعقدن المجالس الأدبية لدراسة الأدب والشعر ، ونقد الشعراء ، والموازنة بينهم ، ومن هؤلاء السيدة سكينة ، والولادة بنت الخليفة المستكفي " (٢) .

وما الصورة الحالية للمجالس الثقافية إلا امتداد لتلك الصورة القديمة التي عُرفت بها تلك المجالس مع بعض التعديلات والتغييرات التي تفرضها ظروف الزمان والمكان بين حينٍ وآخر .

والمجالس الثقافية في مجتمعنا المعاصر ليست إلا أحد أنماط المنتديات الثقافية في المجتمع ، والتي تمثل في مجموعها " النوافذ التي يُطل من خلالها الفكر والثقافة " (٣) .

وما ذلك إلا لأنها منتدياتٍ تجري فيها اللقاءات الثقافية بين مختلف شرائح المجتمع على الطبيعة ، وتشتمل على بعض الفعاليات كالحوار ، والمحاضرة ، والندوات ، واللقاءات العلمية ... وغيرها .

وهنا أود الإشارة إلى أنني أفضل بل أدعو إلى ن نستعمل تسمية (**مجالس ثقافية**) بدلا من (**صالونات ثقافية**) ؛ لأن كلمة (صالون) كلمة أجنبية الأصل ، وقد عُربت بكلمة (صالة) ، و نحن إذ نُسلّم بأن لها معاني مختلفة في اللغة الإنجليزية ، كما هو الحال لكلمة (مجلس) في اللغة العربية الثرية بمُفرداتها ومُرادفاتها ودلالاتها ؛ إلا أنه لا داعي لاستخدام البديل الأجنبي فقد أشار قاموس (المورد) إلى أن معنى كلمة ***صالون Salon أو Saloon*** في اللغة الإنجليزية يُقصد بها

" البهو ، أو الصالون الأدبي : اجتماع أدباء أو فنانين أو سياسيين بارزين يُعقد دوريًا في قصر رجل (أو امرأة) من ذوي الشأن ، أو معرض فني (للوحات الزيتية والتماثيل ..إلخ " . وأضاف أنه قد يُقصد بها : " حانة ، أو سيارة مُقفلة تتسع لـ ٤ ـ ٧ ركاب " [٤] .

وليس هذا فحسب ؛ بل إن لكلمة (صالون) دلالاتٍ مُختلفة في واقعنا الاجتماعي ، ولا تُشير مُباشرة إلى المعنى المقصود من التسمية ؛ فقد تدل على مكان حلاقة وقص الشعر ، كما أنها قد تدل على صالة المنزل الداخلية ؛ الأمر الذي يجعل تسمية هذه المجالس بالصالونات تسمية غير دقيقة ، وغير صحيحة المعنى إلى حدٍ ما ؛ فكان علينا أن نُصحح التسمية بأن تكون (المجالس الثقافية) بديلاً للصالونات الثقافية .

وهنا أتمنى من أخي الكريم **الأستاذ / سهم بن ضاوي الدعجاني** صاحب كتاب (**الصالونات الأدبية في المملكة العربية السعودية .. رصد وتوثيق**) ، أن يتدارك ذلك الأمر في (الطبعة الثانية) من هذا الإصدار وما يليه (إن شاء الله تعالى) ، وأن يستبدل كلمة الأدبية بالثقافية لشموليتها اللفظية والمعنوية ؛ وليكون عنوان الكتاب " **المجالس الثقافية في المملكة العربية السعودية .. رصد وتوثيق** " .

وعلى الرغم من أن هذه المجالس الثقافية تعد موازية في نشاطاتها للمنابر الثقافية الرسمية مثل الأندية الأدبية وجمعيات الثقافة والفنون وغيرها من المؤسسات الاجتماعية الأخرى التي تُعنى بفنون مختلفة من الفكر والثقافة والأدب والمعرفة ، إلا أنها تمتاز ببعض الخصوصية التي تمنحها استقلالية تامة عن غيرها ، ويأتي من أبرز ملامح هذه الخصوصية ما يلي :

(١) أنها تمثل في مجموعها مؤسساتٍ اجتماعيةٍ غير رسمية في الغالب ، وربما كانت غير منتظمة المواعيد لأنها تخضع للعديد من الظروف المرتبطة

بأصحابها ، أو ببعض الظروف الزمانية والمكانية المختلفة التي قد تستلزم ذلك .

(٢) أن هذه المجالس الثقافية تمتاز (في الغالب) بأن معظم روادها ممن يتعارفون شخصيا ويتقاربون فكريا وثقافيا ، فهي قد تجمع بين العالم والمتعلم ، والأديب والمتذوق ، والوجيه والتاجر ، والإعلامي والعامي ، والأساتذة والطلاب ، وغيرهم من أفراد المجتمع وفئاته المختلفة . الأمر الذي يجعل الحوار الموضوعي الهادف هو الغالب على جلساتهم ونقاشاتهم وطروحاتهم ؛ يُضاف إلى ذلك أنها تقام في الأصل على اعتبار أنها لقاءاتٍ وديةٍ وأخوية وحميمية ، ولا يكون النقاش والحوار فيها إلا حول القضايا والموضوعات التي تهم الجميع .

(٣) أن هذه المجالس بعيدة إلى حدٍّ ما عن قيود المظلة الرسمية لبعض الجهات التي تتبع لها بعض المؤسسات الثقافية الموازية ، والتي قد تحدد أو تخضع الموضوعات المطروحة فيها لبعض الشروط والقيود ، الأمر الذي قد يترتب عليه عدم ارتياح المتحدث أو الحضور لشعورهم بأن هناك نوعا من المراقبة على طروحاتهم ومُشاركاتهم وتعليقاتهم .

(٤) أن هذه المجالس الثقافية تمثل قناة جديدة من القنوات الحوارية التي تمتاز بأن لها جمهورها الخاص الذي يُتاح له حضور هذه المجالس والمشاركة فيها ، كما أن لها جمهورها العام الذي يتناقل أخبارها وما يحدث فيها من حوارات ونقاشات و نحو ذلك ، الأمر الذي يكفل لهذه المجالس إشاعة ونشر ثقافة الحوار بين فئةٍ مُعينةٍ من أبناء المجتمع .

(٥) أن هذه المجالس الثقافية تتيح لروادها (في الغالب) فرصة الحوارات المتميزة التي يُشارك فيها (غالبا) نخبة من المثقفين الذين يتواصلون مع نشاطات هذه المجالس ، والذين يحرصون على إثراء حواراتها ، وتأصيل مبدأ الحوار الهادف في لقاءاتها ، الأمر الذي يكون له أثرٌ فاعلٌ في تجسير العلاقة بين المتحاورين وتوثيقها ولاسيما أن هؤلاء المثقفين يشعرون بين حينٍ وآخر بالحاجة إلى لقاء أقرانهم طمعا في تلاقح الأفكار وتبادل الخبرات والبحث عن الجديد والمفيد .

(٦) أن هذه المجالس الثقافية تقوم بوظيفةٍ اجتماعيةٍ هامةٍ حيث تعمل على ردم الفجوة (التي لا يُنكرها أي منصف) بين المثقف والمتلقي في بلادنا على وجه الخصوص ، عن طريق طبيعة تلك المجالس المفتوحة ، والقلوب المشرعة ، والفرص المتاحة للجميع .

(٧) أن هذه المجالس الثقافية تراعي في طروحاتها وحواراتها مُقتضى حال المجتمع بصفةٍ عامة ، وحال مُرتادي المجالس بصفةٍ خاصة ، فتعنى بما يهمهم ويُشغلهم ثقافيًا كالحوار مع الآخرين ، ومحاولة التقريب بين وجهات النظر المختلفة بين الحضارات ، والدروس المستفادة من قضايا الأدب والثقافة ، وكيفية المشاركة الفاعلة في اتخاذ القرارات . أو اجتماعيًا كمناقشة بعض القضايا والظواهر المجتمعية العامة التي منها البطالة والعنوسة وعدم

قبول الطلاب في الجامعات و نحو ذلك . أو علميًا كسُبل النهوض بحركة البحث العلمي ، وتشجيع الانخراط في مؤسسات التعليم المهني والتقني . أو اقتصاديًا كإبراز أهمية العمل اليدوي في تنشيط الاقتصاد ، وتحسين الإنتاج المحلي ، وتنمية الموارد ، و غير ذلك ، الأمر الذي يجعلهم يحرصون على حضورها ، وقد لا أكون (مُبالغا) حينما أقول إن منهم من ينتظر موعد انعقاد هذه المجالس بفارغ الصبر لما يجده فيها من انشراحٍ وسرورٍ وأنسٍ بلقاء الآخرين .

(٨) أن هذه المجالس الثقافية تسهم - ولاشك - في تقريب وجهات النظر ، وتتيح الفرصة لسماع آراء الآخرين ، وتعمل بطريقةٍ مُباشرةٍ أو غير مُباشرةٍ على تعويد الحضور على حُسن الاستماع للرأي والرأي الآخر ، وإتاحة الفرصة للجميع حتى يطرحوا ما لديهم من طروحاتٍ وأفكار بكل هدوءٍ وشفافية .

(٩) أن هذه المجالس الثقافية تعد فكرة جيدة وظاهرة اجتماعية حسنة استطاعت أن توجد لقاءً ثقافيًا بين المثقفين والمعنيين بمختلف القضايا والطروحات ، وحققت لهم التواصل المفقود لاسيما في زماننا الذي يعاني فيه الكثير من ندرة فرص التواصل بين أبناء المجتمع .

(١٠) أن هذه المجالس الثقافية تتيح لروادها وقتا أكبر ، وفرصا أكثر للنقاش والحوار والتعليق والمشاركة ؛ وهو ما لا نراه في غيرها من المؤسسات التي طالما أفسدت كثيرا من اللقاءات بمنع الحوار والتعليق بدعوى الالتزام بالوقت المحدد.

من هنا فإن إسهام هذه المجالس الثقافية في إشاعة ونشر ثقافة الحوار الهادف بين أفراد وفئات المجتمع ، يمكن أن يتحقق من خلال التالي :

ا= أن تشجع مثل هذه المجالس وأن يتم دعمها ماديا ومعنويا ، وأن يحرص المجتمع على توافرها في كل مدينةٍ من مُدن بلادنا الغالية ، وأن تحرص الجهات المعنية في وزارة الثقافة والإعلام على توافرها بصورةٍ مُنظمةٍ ولا أقول رسمية على اعتبار أنها تمثل في مجموعها قنواتٍ ثقافيةٍ جديدةٍ يمكن أن تتم من خلالها إشاعة ثقافة الحوار في المجتمع ، وبخاصة عندما توجد هذه المجالس في أماكن لا تتوافر فيها النوادي الأدبية الرسمية ، أو لا تصل إليها خدماتها ونشاطاتها بشكلٍ مُستمر ؛ كما هو الحال في (اثنينية تنومة) التي تعقد في مدينة تنومة على بعد (١٢٥) كلم شمال مدينة أبها ، والتي تعد النافذة الوحيدة التي تطل من خلالها الثقافة ويتنفس الفكر في تلك المنطقة .

ب - أن تسند مهمة الإشراف والتنظيم لفعاليات هذه المجالس الثقافية لمن يوثق في دينه وأمانته وفكره ووعيه ؛ إضافة إلى قدرته على الإعداد والمتابعة والعمل على تحقيق أهداف تلك المجالس وغاياتها الإيجابية .

ج - أن يتم تسليط الضوء على هذه المجالس وفعالياتها المختلفة من قبل وسائل الإعلام من خلال نقل وبث ونشر ما تقدمه تلك المجالس من لقاءاتٍ ، والحرص

على رصد ما يدور فيها من حواراتٍ ونقاشاتٍ تعنى بالقضايا الجوهرية التي تمسُ الوطن والمواطن .

وهنا أشدّد على ضرورة تحقيق مبدأ المساواة في هذا الشأن ، وعدم التركيز على منطقةٍ دون أخرى فالملاحظ أن بعض المناطق تستأثر بنصيب الأسد في حين لا تحظى المناطق الأخرى بشيءٍ يُذكر ؛ لاختلاف نشاطات المهتمين بالهم الثقافي في المدن والمناطق المختلفة .

د- أن تعنى هذه المجالس بتهيئة الفرصة لالتقاء واجتماع المثقفين من أبناء الوطن العربي والإسلامي في لقاءاتٍ دوريةٍ (لاسيما خلال فترة الإجازات) لتطارح الآراء ، وتبادل الأفكار ، وعقد اللقاءات الودية ، وعرض الجديد والمفيد في مختلف العلوم والمعارف والقضايا الاجتماعية .

هـ- أن يكون هناك نوع من التنسيق بين الجهات المعنية بالنشاطات الثقافية والاجتماعية والدعوية والتوعوية في المناطق والمدن التي توجد فيها هذه المجالس الثقافية منعا لتضارب المواعيد أو تزامن أوقات الأنشطة بين هذه المرافق (إن وجدت) .

و- أن يتم توظيف نشاطات وفعاليات هذه المجالس الثقافية من خلال استشعار أصحابها والقائمين عليها توظيفا إيجابيا لتحقيق أهدافها المنشودة ، بمعنى أن يضبطها الوعي بأهمية الحوار واحترام وجهات النظر المختلفة ما دامت إيجابية وفاعلة ، وتتناول قضايا مختلفة تعبّر عن نبض الجماهير من أبناء المجتمع على اختلاف فئاته .

ز- أن تتوقف بعض وسائل الإعلام المحلية عن إشغال المجتمع بطرح بعض القضايا الصحفية المفتعلة و " الساذجة " ذات العلاقة بهذه المجالس الثقافية ، كأن يُطرح سؤالٌ يقول : هل صحيح أن المجالس الثقافية سحبت البساط من تحت أقدام الأندية الأدبية ؟ أو أن تطرح قضية أخرى تقول : هل وجدت المجالس الثقافية للثقافة أم للوجاهة الاجتماعية ؟ ! إلى غير ذلك من الطروحات الصحفية " الممجوجة " التي لا يمكن الخروج منها بفائدةٍ تذكر ، والتي أجزم أنها لا ولم ولن تخدم مسيرة الثقافة في البلاد بقدر ما تثير البلبلة وتعطل المسيرة ، ولعل خير دليلٍ على ذلك ما حصل من ردودٍ ومُساجلاتٍ حول هذه النقطة في ندوة الصالونات الثقافية التي عقدت في مكة المكرمة تحت رعاية مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني خلال الفترة من ٢٢ – ٢٣ / ٤ / ١٤٢٧هـ .

٨ - أن يتم الاحتفال المناسب في هذه المجالس الثقافية بالموضوعات الثقافية العامة التي تندرج في إطار الثقافة الشعبية ، لاسيما الموضوعات الساخنة التي تطفو على السطح في مختلف المجالات الدينية والعلمية والاجتماعية والأدبية

والاقتصادية ونحوها ، وأن يتم خلال تلك الفعاليات تكريم الرواد والمبدعين والمتميزين في مختلف المجالات والميادين العلمية والمعرفية .

وختاما ؛ أتمنى من الجهات المعنية في وزارة الثقافة والإعلام ، وغيرها من الجهات المعنية الأخرى في مختلف المناطق والمدن ، أن تحرص على نشر هذه المجالس الثقافية التي تعد رافدا رئيسا وفاعلا من روافد مسيرة الثقافة في البلاد ، والتي لها أثرٌ فاعلٌ في مد جسور التعاون والتواصل الثقافي مع مختلف المؤسسات العلمية ، والثقافية ، والاجتماعية ، والتربوية ، ذات الاهتمام بالأنشطة المماثلة في بلادنا. والله الهادي إلى سبيل الرشاد .

=-=-=-=

الهوامش و المراجع

١= أحمد شلبي . (١٩٧٨م) . ***التربية الإسلامية (نظمها ، فلسفتها ، تاريخها)*** . ط (٦) . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ص (٧٣) .

٢= محمد عطية الإبراشي . (١٩٨٥م) . ***التربية الإسلامية وفلاسفتها***. ط (٤) . القاهرة : مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، ص (٨٥) .

٣= سهم الدعجاني . (١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م) . الصالونات الأدبية .. نوافذ للحوار الوطني . ***مجلة الإعلام والاتصال*** . العدد (٩٤) ، السنة (٨) ، غرة ربيع الثاني - ٢٩ إبريل ، ص (٥٢) .

٤= منير البعلبكي . (١٩٨٩م) . ***المورد .. قاموس إنكليزي - عربي*** . ط (٢٣) . بيروت : دار العلم للملايين ، ص (٨٠٩) .

من الملامح التربوية لشخصية

الشيخ / علي الطنطاوي (رحمه اللّه وغفر له)

-ـ-ـ-ـ-ـ-

الحمد للّه الذي خلق فسوى ، والذي قدّر فهدى ، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء وسيد الأتقياء الذي فاق البُلغاء ، وعلم العُلماء ، وعلى آله وصحبه النبلاء ، أما بعد ؛

فقليلون هم الرجال الذين تخلد أسماؤهم وتبقى ذكراهم ، وقليلون هم العُلماء الذين ينفع اللّه ـ تعالى ـ بعلمهم ومآثرهم التي تتوارثها الأجيال وتفيد منها الأمة . ولا شك في أن فضيلة **الشيخ / علي الطنطاوي** واحدٌ من هؤلاء الرجال الذين لا زالت وستظل ذكراهم على كل لسان . فقد كان (رحمه اللّه تعالى) علما بارزا واسما لامعا في زمنٍ ازدحم بالعلماء في شتى العلوم والفنون والمعارف ، وليس هذا فحسب ؛ بل إنه كان موسوعة للكثير من العلوم والمعارف والفنون والآداب ، كما أنه كان بحق شاهدا على أحداث ما يقرب من قرنٍ كاملٍ من الزمان .

وكان إلى جانب ذلك كله مُبرزا في الكثير من المجالات والميادين العلمية والعملية ؛ فهو الأديب البارع ، والداعية المؤثر ، والخطيب المفوّه ، والكاتب المتميز ، والفقيه المجدّد ، والمربي الموسوعي .

وفيما يلي محاولة للحديث عن بعض الملامح التربوية التي تميزت بها شخصية الشيخ / علي الطنطاوي (رحمه اللّه) ، حاولت تسليط الضوء عليها من خلال قراءةٍ سريعةٍ لبعض النصوص التي كتبها بقلمه السيال في أحد مؤلفاته الذي يحمل عنوان " **من حديث النفس** " قال في بدايته :

" أرجو من القارئ ألاّ ينظر في فصلٍ من فصول هذا الكتاب حتى يرى تاريخ كتابته ؛ فليس كل ما فيه لـ (علي الطنطاوي) الذي يكتب هذه المقدمة ، بل إن كل فصلٍ فيه لـ (علي الطنطاوي) الذي كان في ذلك التاريخ " [1] .

أما أبرز الملامح التربوية التي تميزت بها شخصية الشيخ / علي الطنطاوي الأدبية ؛ **فمنها على سبيل المثال :**

(١) **السعي الجاد والحثيث في طلب العلم** ، مما جعله موسوعة علمية ضخمة ؛ بل دائرة معارف مُتنقلة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان ، حتى أنه يقول عن نفسه :

" وأذهبتُ في المطالعة حدَّة بصري ، وملأت بها ساعات عمري . وصرمت الليالي الطوال أقرأ و أطالع ، حتى لقد قرأت وأنا طالب كتبا ؛ من أدباء اليوم من لم يفتحها مرة لينظر فيها " (١٣) .

ونظرًا لتكدس الثقافة في صدره ، فقد جعله ذلك لا يصبر في الكتابة على موضوعٍ واحدٍ ، وإنما يستطرد كثيرًا حتى أنه كان كثيرا ما يتحدث في موضوعٍ ما ، ثم يتوسع في الحديث عنه حتى إذا رأى أنه قد خرج عن الموضوع تدارك الأمر مُشيرا إلى أنها " **معلومة على الهامش** " .

وفي حالاتٍ أخرى نراه وقد تشعب به الحديث حتى ينسى الموضوع الأصلي الذي كان يتحدث فيه ؛ فيطلب ممن حوله تذكيره به . كل هذا وغيره كثير ليس إلا دليلا على غزارة علمه وسعة اطلاعه وموسوعيته العلمية .

(٢) **اعتزازه بالعروبة والإسلام** ؛ مما أدى إلى ثباته و رسوخ مبادئه التي كان يُنافح عن حياضها طول سنوات عمره ، دونما كللٍ أو ملٍ لأنه كان في ذلك كله صاحب رسالةٍ يؤمن بها ولا يبتغي بها بديلا ؛ وفي ذلك يقول :

" إن لديَّ أشياءً ما بدلتها قط ، ولن أبدلها إن شاء الله ، هي أني حاربت الاستعمار وأهله وأعوانه وعبيده دائما ، ومجَّدت العربية وسلائقها وأمجادها وبيانها دائما ، وكنت مع الإسلام وقواعده وأخلاقه وآدابه دائما . ولقد بلغ ما طبع من كلامي عشرة آلاف صفحة ، لو نخلتها نخلا ، ما وجدت فيها بحمد الله سطرا فيه تزلفٌ للظالمين ، ولا سطرا فيه إزراءٌ على العربية ، ولا سطرا فيه خروجٌ على الإسلام . وشيءٌ آخر هو أني ما كُنت أبدا في (حزبٍ) ، ولا جماعةٍ ، ولا هيئةٍ ، وما كان قلمي لهيئةٍ ولا جماعةٍ ولا حزب " (١٤) .

(٣) **تربيٌ بطبعه وسليقته** ، ولعل من أبرز الدلائل على ذلك بساطة أسلوبه ، وسهولة عبارته ، وجمال منطقه الذي كان يأسر به مستمعيه في خُطبه ودروسه ومحاضراته وبرامجه الإذاعية والمتلفزة ؛ وليس هذا فحسب فقد تميز – رحمه الله – بأسلوبٍ أدبيٍ رفيع جعل من كتاباته المختلفة تحفا أدبية رائعة لا يملُ القارئ تكرار قراءتها والاطلاع عليها وفي ذلك يقول :

" وما يُسميه القراء أسلوبي في الكتابة ، ويدعوه المستمعون طريقتي في الإلقاء ؛ شيءٌ مَنَّ الله به عليَّ ، لا أعرف إلا أني أكتب ، وأتكلم حين أتكلم منطلقا على سجيتي وطبعي ، لا أتعمد في الكتابة إثبات كلمةٍ دون كلمة ، ولا سلوك طريقٍ دون طريق ، ولا أتكلف في الإلقاء رنَّة في صوتي ولا تصنعا في مخارج حروفي " (١٥) .

وليس هذا فحسب ؛ فقد تميز أسلوب الشيخ الطنطاوي بالطرفة الجميلة ، والنكتة البريئة التي عادة ما تأتي عفوية في أقواله ، وضمنية في كتاباته ، و دونما تكلفٍ أو تصنع .

(٤) **مُراعاة طبيعة المتلقين والفروق الفردية بينهم** ، ولذا نراه ينوِّع في صيغة خطابه ذي المضامين التربوية و الأدبية سواءً أكان مكتوبًا أم مسموعًا ؛ فقد خاطب مختلف الفئات المجتمعية ، وكتب لهم ناصحًا ، وموجهًا ، ومُحذرًا ، ومذكرًا .

وكان خطابه في كل مرةٍ زاخرا بالنصائح الصادقة ، والمواعظ المؤثرة ، والتوجيهات السديدة ، والطرح المنطقي الذي يأتي مصاغا في قالبٍ أدبيٍ رفيع المستوى ، حتى إن القارئ لما كتبه والسامع لما ألقاه يتفاعل معه ولو بعد حين ، وكأنه يعيشه واقعا ماثلا أمامه .

(٥) **الإرادة القوية** التي نشأ عنها قناعته الكاملة بما يقول ويفعل ، وعدم تأثره بما يُكتب عنه أو يقال فيه من الآخرين سواء أكان ذلك مدحا له ، أو قدحا فيه ، وبخاصةٍ إذا كان ما أقدم عليه من قولٍ أو فعلٍ مرتبطا بأمرٍ من أمور الدين أو الدنيا التي يؤمن بها ولا يرضى بالمساومة عليها ، وفي ذلك يقول :

" ولقد اشتغلت الجرائد منذ سنة أسبوعا كاملاً بشتمي و سبي في صفحاتها الأولى من أجل تلك الخطبة المشهورة ، وفعلت مثل ذلك أيام الانتخاب سنة ١٩٤٧م ، ونسبت إليَّ نقائص تشين إبليس ، فهل يُصدق القراء أني لم أبال بها ، حتى أني لم أقرأ أكثرها . أقسم بالله أنَّ هذا الذي كان ! ولقد نشرت الجرائد مراتٍ أخرى أطيب الثناء عليَّ ، وألصقت بي مناقب تزين الملائكة فما باليت بها أيضا ، لأن قصد الأمور ذميم ، والثناء إن زاد كالهجاء إن زاد ؛ كلاهما أقرب إلى الكذب ، وما أنا مَلَكٌ ولا أنا شيطان ، ولي حسنات ولي سيئات ، وأنا أعرف بنفسي من سائر الناس " (٥) .

(٦) **إخلاص النية لله تعالى** ، فهو لا يطلب الأجر ولا يبتغي الثواب إلاَّ من الله تعالى وحده على كل ما قال وكتب وعمل ، ويتبع لذلك عدم اغتراره أو انخداعه بما جرت به العادة في زماننا من المظاهر الزائفة المتمثلة في خطابات الإعجاب ، ومقالات المديح ، وحفلات التكريم ، و نحو ذلك مما لا يُفيد ولا ينفع . وفي ذلك يقول :

" والثواب هو وحده الذي يبقى ، على حين يفنى الإعجاب ، وتذهب الأموال ، ويعود إلى التراب كل ما خرج من التراب . ولدعوة واحدة لي بعد موتي ، من قارئٍ حاضر القلب مع الله ، أجدى عليَّ من مئة مقالةٍ في رثائي ، ومئة حفلةٍ في تأبيني ؛ لأن هذه الدعوة لي أنا ، والمقالات والحفلات لكُتابها وخطبائها ، وليس للميت فيها شيء " (٦) .

وبعد ؛ فليس ما تقدم إلا قطرة من بحر ، وسطرٌ من قمطر ، ولو أنني تتبعت كل ما توحي به مقالات شيخنا علي الطنطاوي لطال الوقت ، وزاد عدد الصفحات

. ولعل فيما كُتب دلالة وإشارة ، ودافع للكُتاب والباحثين والدارسين لتسليط المزيد من الضوء على تراث شيخنا علي الطنطاوي ـ غفر الله له ورحمه ـ ، وجمعنا به في مستقر رحمته ، إنه على كل شيءٍ قدير ، وبالإجابة جدير ، والحمد لله رب العالمين .

الهوامش :

(١) علي الطنطاوي ، (١٤١١هـ / ١٩٩٠م) . ***من حديث النفس*** . ط (٤) . جدة : دار المنارة . ص (٧) .

(٢) المرجع نفسه . ص (٢٢٣ – ٢٢٤) .

(٣) المرجع نفسه . ص (٧ – ٨) .

(٤) المرجع نفسه . ص (٢٢٤) .

(٥) المرجع نفسه . ص (٢٠٢) .

(٦) المرجع نفسه . ص (٨) .

العلاقة بين علم التربية وعلم النفس

=-=-=-=-=

الحمد للّه وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد :

تتعدد الآراء وتختلف وجهات النظر عند البعض فيما يخص العلاقة بين علم التربية أو فن التربية (pedagogy) وعلم النفس (psychology) ؛ فالبعض يرى أنهما شيءٌ واحد ، والبعض الآخر يفصل بينهما تماما . وهناك من يقول بوجود بعض نقاط الالتقاء والاتفاق بينهما ؛ الأمر الذي دفعني لمحاولة تسليط الضوء على أبعاد العلاقةِ بينهما بشيءٍ من الإيجاز والإيضاح . فالعلاقة بين هذين العلمين تبدأ في كونهما جزءًا لا يتجزأ من العلوم التربوية المنتمية بدورها إلى العلوم الاجتماعية والإنسانية التي تعنى بدراسة الظواهر التربوية والنفسية المختلفة عند الإنسان .

وانطلاقا من كون " التربية ليست مجرد علم وإنما هي مجالٌ واسعٌ كبيرٌ يضم عددا من التخصصات العلمية والفروع المختلفة التي تهتم بالعملية التربوية ، وتتناولها من زواياها المختلفة " [1] ؛ فإن العملية التربوية تعتمد اعتمادا كبيرا على علم النفس وتفيد منه ، ومن دراساته ، وأبحاثه ، ونظرياته في حل المشكلات التربوية المختلفة على الرغم من أن بعض تلك المشكلات قد أمكن علاجها بطرقٍ مختلفةٍ قبل نشوء علم النفس " كعلمٍ موضوعي مستقل عن الفلسفة والفزيولوجيا في سنة ١٨٧٩م " [2] ، حيث تم فيها إنشاء أول معمل تجريبي في علم النفس .

وبما أن علم النفس يُعد واحدا من العلوم التي تجمع بين الجوانب العلمية النظرية و التطبيقية التي تهتم بدراسة المجتمع ومن فيه من أفرادٍ أسوياء أو معاقين ، ومن ثم التعرف على أيسر وأفضل السُبل لنموهم نموًا سليمًا ، وتعليمهم التعليم المناسب لطاقاتهم وقدراتهم المختلفة ؛ حتى تتحقق استفادة المجتمع منهم بصورةٍ إيجابيةٍ تسهم في نموه وتطوره ورقيه ؛ فإنه يلتقي مع علم التربية في هذه القضايا وغيرها .

وليس هذا فحسب فهناك من يرى أن علم النفس بمثابة العامل الرئيس في انتشار علم التربية وشيوعه ؛ وهو ما يُشير إليه عالم النفس السويسري (**جان بياجيه** Jan Piaget) الذي يرى " أن الروح العامة للبحوث النفسية وطرق الملاحظة ذاتها هي التي أنعشت علم التربية ، وذلك عندما تجاوزت ميدان العلم البحت إلى ميدان التجريب المدرسي " [٣] .

والمعنى أن علم النفس يُعد واحدا من العلوم الإنسانية التي تهتم بالإنسان الذي يُعد في الوقت نفسه موضوع التربية ومحور اهتمامها منذ ولادته وحتى مماته ؛ لاسيما في الميدان التعليمي ، وهذا يؤكد أن عملية التربية تعتمد كثيرا على علم النفس بفروعه المختلفة التي لها علاقة وصلة بالعملية التربوية والتعليمية .ومن هذه الفروع ما يلي:

(١) **علم النفس التربوي** Educational (Pedagogical) Psychology : ويُعرّف بأنه : " الدراسة العلمية للسلوك الإنساني الذي يصدر خلال العمليات التربوية " [٤] .

ويشتمل هذا العلم على فرعين هما :

- **علم النفس التعليمي** Teaching Psychology الذي يُقدم لإعداد المعلم أو المدرب ، ويُفيد في ذلك من بعض التجارب على الحيوانات والإنسان أحيانا .
- **علم النفس المدرسي** School Psychology الذي يُقدم لإعداد الأخصائي النفسي في المدرسة .

ومعنى هذا أن علم النفس التربوي يُعد واحدا من الميادين التطبيقية لعلم النفس العام ، الذي تتمثل المهمة الجوهرية لهذا العلم في " تزويد المعلمين وغيرهم من العاملين في ميادين تعديل السلوك الإنساني بالمبادئ النفسية الصحيحة التي تتناول مشكلات التربية ومسائل التعلم المدرسي لكي يُصبحوا أعمق فهما ، وأوسع إدراكا ، وأكثر مرونة في المواقف التربوية المختلفة " [٥] .

(٢) **علم نفس النمو** Developmental Psychology : و يُسمى **علم النفس التكويني** Genetical Psychology ، أو **علم النفس التطوري** ، وعلى الرغم من اختلاف التسمية فإن " هذا العلم يدرس مراحل النمو المختلفة التي يجتازها الفرد في حياته ، والخصائص السيكولوجية لكل مرحلة ، والمبادئ العامة التي تصنف مسيرة هذا النمو والارتقاء . وتتضمن الدراسة مظاهر النمو المختلفة مثل : النمو الحركي ، والنمو العقلي ، والانفعالي ، والاجتماعي . و يهدف علم نفس النمو إلى دراسة نمو السلوك البشري ، وتطور الوظائف النفسية في مراحل حياة الإنسان المختلفة لتحديد أحسن الشروط البيئية الممكنة التي تؤدي إلى أحسن نمو ممكن ، ولتيسير اكتساب أصح أساليب التكيف الاجتماعي " [٦] .

(٣) **علم نفس الفروق الفردية** Differential Psychology : و يُسمى " علم النفس الفارق ، ويُعنى بدراسة الفروق الفردية في السمات النفسية ، والعقلية ، والانفعالية بين الأفراد وارتباطها بالعوامل المختلفة مثل عامل السن أو الجنس أو الوراثة أو البيئة أو الوضع الاقتصادي والاجتماعي " [٧] .

(٤) **علم النفس الإكلينيكي والإرشادي** Counseling &Clinical Psychology : ويُسمى علم النفس العلاجي حيث " ينصب اهتمام العاملين فيه على مظاهر الاضطراب التي تصيب سلوك الفرد وشخصيته وطرق تشخيص هذه الاضطرابات ووسائل علاجها . ومن هذه الاضطرابات المرض العقلي ، وانحراف الأحداث ، والسلوك الإجرامي ، والإدمان على المخدرات ، والتخلف العقلي ، والصراعات العائلية والزوجية " [٨] .

(٥) **علم النفس الاجتماعي والشخصية** Social&Personality Psychology : وهو علمٌ يهتم بطبيعة علاقات الفرد الاجتماعية ، وتأثر سلوكه بالعوامل الاجتماعية المختلفة ، كما يدرس تأثير الآباء ، والإخوة ، ورفاق اللعب ، وزملاء الدراسة على شخصية الفرد وعلى سلوكه واتجاهاته . ويهتم هذا العلم بدراسة سلوك الجماعات كقياس الرأي العام ، ومسح الاتجاهات ، ومعرفة آثار وسائل الإعلام المختلفة على سلوك الأفراد والجماهير . ويدرس الإشاعة ووسائل الإقناع ، والإخضاع ، والصراع بين الجماعات ، وقضايا التعصب والتمييز ...إلخ " [٩] .

وليس هذا فحسب فهناك فروع أخرى لعلم النفس وثيقة الصلة بالعملية التربوية مثل :

علم النفس المقارن الذي يهتم بالمقارنة بين سلوك الفئات المختلفة من الناس (كالذكور والإناث ، والأطفال والراشدين ، والإنسان المثقف والإنسان الجاهل) ، **وعلم نفس الشواذ** الذي يهتم بفئةٍ معينةٍ من أبناء المجتمع (الموهوبين والنوابغ ، أو المرضى) ، وغير ذلك من الفروع التي تفيد منها التربية ، وتستخدم نتائجها ومعطياتها لضمان تحقيق الأهداف التربوية المنشودة من العملة التعليمية بشكلٍ عام . إذ إن " تقدم علم النفس بفروعه المختلفة قد أثر تأثيرا جذريا على التربية وأساليبها ، وعلى التعليم من جميع جوانبه ، ونواحيه ، ومناهجه ، وطرقه ، ونظمه ، وكتبه ، ووسائله ، وغير ذلك . وبيَّن أنه لا انفصال بين علم النفس والتربية فكلاهما يهدف إلى إسعاد الفرد ، وإسعاد المجتمع ، وكلاهما يُضيء للآخر الطريق ، ويُنمِّي كل منهما الآخر " [١٠] .

والخلاصة ، أن العلاقة بين علم التربية وعلم النفس علاقة قوية ووطيدة ، ويمكن تحديدها في النقاط الأربع التالية :

١ ـ أنهما يشتركان في الاهتمام بالإنسان الذي يُمثل محور اهتمام كلٌ منهما انطلاقا من كون " التربية عملية إنسانية هي في الأصل طبيعة أساسية من طبائع النفس البشرية أساسُها قابلية الفرد الفطرية للتكيف " (١١) .

ومعنى هذا أنه متى تحقق ذلك فإنه يُصبح بالإمكان نقل الخبرات المختلفة وإكسابها للآخرين . وفي الوقت نفسه فإن علم النفس هو " العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن حي له نشاطاته الداخلية والخارجية المتفاعلة مع مختلف ظواهر حياته الإنسانية " (١٢) .

وهنا يتضح أن موضوعهما الرئيس ومحور اهتمامهما هو الإنسان كله بمختلف جوانب شخصيته الرئيسية والفرعية .

٢ ـ أن العلاقة بين العلمين علاقة تبادلية حيث إن كلاً منهما يعتمد على الآخر في تقدمه وتطوره .

٣ ـ أن تطور فروع علم التربية مدينٌ بفضل كبير لجهود علماء النفس وما قدموه من إسهامات كبيرة للمشتغلين بالتربية سواءً أكان ذلك على شكل حقائق ، أو قوانين ، أو نظريات فقد ساعدت جميعها وأسهمت إلى حدٍ ما في إنجاح العملية التربوية عامة ، وخدمة العملية التعليمية على وجه الخصوص .

٤ ـ أن علم النفس بتطبيقاته العلمية ، ودراساته ، وأبحاثه ، وتجاربه المختلفة يُشكل جزءا من الجانب العلمي للتربية حيث " أصبحت التربية وعلم النفس الآن متصلين بالمجتمع في إعداد المعلم ، وفي التطبيق العملي في العملية التعليمية ، وأدى ذلك إلى تطوير المناهج والخطط وأسلوب التدريس وفق أساسيات علم النفس . وزاد الاهتمام في التربية بميول التلاميذ واهتماماتهم وإشباعها ، وخصائص نموهم ، وتعديل سلوكهم . كما تدخل علم النفس أيضا فنظم وسائل التقويم المختلفة للتلاميذ ، فأعد المقاييس لقياس تحصيلهم واتجاهاتهم ، كما أعد المقاييس لقياس مستوى ذكائهم واكتشاف المتخلفين واقتراحات العلاج . وأصبح لزاما على التربية أن تتعامل مع كل فردٍ وفق إمكانياته ، وقدراته ، وحالته النفسية ، وظروفه الاجتماعية . وأصبحت إيجابية التلميذ وإيجابية المدرس أساسيتين في عملية التعلم " (١٣) .

٥ـ أن كُلاً من علم التربية وعلم النفس يشتركان في جملةٍ من الوظائف الحيوية التي يأتي من أبرزها على سبيل المثال ما يلي :

= أنهما يُعنيان بعملية التنشئة السليمة لأفراد المجتمع وفئاته المختلفة في جميع المراحل العُمرية .

= أنهما يُسهمان إسهامًا مُباشرًا وفاعلاً في إيجاد الحلول الملائمة لمختلف المشكلات التربوية والنفسية عند أبناء المجتمع .

= أنهما يعتمدان ـ في الغالب ـ على عملية التفاعل الإيجابي المتبادل بين المعنيين أو المقصودين بالعمليات التربوية والنفسية .

وعلى الرغم من ذلك كله ؛ فإن ضرورة البحث العلمي هي وحدها التي تقتضي التفريق بين علم التربية من جهة ، وعلم النفس من جهةٍ أخرى تفريقًا تفرضه ضرورة التخصص العلمي الذي يستوجب التعمق في دراسة الوقائع والظواهر المختلفة لكل علمٍ منهما على حده . والله الهادي إلى سواء السبيل .

* * * *

الهوامش والمراجع

١ ـ محمد سعد القزاز ، و صالح أبو عرّاد ، (١٤١٦هـ) . ***المبادئ العامة للتربية*** ، ط (٣) ، الرياض : دار المعراج الدولية للنشر ، ص (٣٥) .

٢ ـ عبد الرحمن عدس وزميله ، (١٩٨٦م) . ***المدخل إلى علم النفس*** ، ط (٢) ، نيويورك : جون وايلي وأولاده ، ص (٦) .

٣ ـ غي بالماد ، (١٩٧٠م) . ***مناهج التربية*** ، ترجمة / جوزيف عبّود كبّه ، بيروت : دار منشورات عويدات ، ص (٧) .

٤ ـ فؤاد أبو حطب ، و آمال صادق . (١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) . ***علم النفس التربوي*** . ط (٤) . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ص (٣١) .

٥ ـ المرجع السابق ، ص (١٧) .

٦ ـ مختار حمزة . (١٩٩٨م) . ***مبادئ علم النفس*** ، جده :دار البيان العربي، ط (٤) ، ص ص (٣٧ ـ ٣٨) .

٧ ـ بيومي محمد ضحاوي . (١٩٩٨م) . ***قضايا تربوية*** ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ص (٢٦) .

٨ ـ عبد الرحمن عدس وزميله . مرجع سابق . ص (٧) .

٩ ـ المرجع السابق ، ص (٧) .

١٠ ـ نازلي صالح أحمد . (١٩٨٣م) . ***مقدمة في العلوم التربوية*** ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية . ص (٦٥) .

١١ ـ مختار حمزة . مرجع سابق ، ص (١) .

١٢ ـ عبد الحميد محمد الهاشمي ، (١٤١٣هـ) . ***أصول علم النفس العام*** ، جده : دار الشروق ، ط (٣) ، ص (١٢) .

١٣ ـ نازلي صالح أحمد . مرجع سابق ، ص (٨١) .

أيتام .. لكن عُظماء

(الإمام أبو الفرج بن الجوزي) أنموذجًا

=-=-=-=-=

تمهيد :

يُطلق لفظ اليتيم على من فقد أباه من بني البشر وهو لا يزال في سنٍ مبكرةٍ من العمر ، ولا شك في أن اليتيم يمر بمرحلةٍ عصيبةٍ في بداية حياته ، لاسيما وأنه يفتقر خلال تلك المرحلة إلى الرعاية الحانية ، والاهتمام الأبوي الذي يكون في أمس الحاجة إليه . وحيث يوجد الأيتام في كل زمانٍ ومكان ، وعلى الرغم من اختلافهم في الأشكال والألوان ، إلا أنهم يتفقون في كونهم بحاجةٍ إلى الحب والحنان ، الأمر الذي يدفع كثيرا منهم إلى الجد والاجتهاد طمعا في تحقيق ذاته وإثبات وجوده ، وفي تراثنا الإسلامي نماذج خالدة ، وأمثلة رائعة لكوكبةٍ من هؤلاء العظماء الذين يجدر بنا أن نقرأ تاريخهم ، وأن نستلهم الدروس والعبر من سيرهم . ومن هؤلاء الأيتام العظماء الإمام أبو الفرج بن الجوزي (رحمه الله) .

= **التعريف بابن الجوزي** : هو " أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ، القرشي التيمي البكري البغدادي ، الحنبلي ، الواعظ ، صاحب التصانيف " [١] .

كان يُلقب " جمال الدين الحافظ " . واشتهر بكنيته " أبي الفرج " وعُرف بها . واختلف المؤرخون في تاريخ مولده ؛ فذكر الذهبي أنه " ولد سنة تسع أو عشرٍ وخمسمائة " [٢] .

وذكر ابن خلكان أن " ميلاده بين سنة ثمان و عشر " [٣] . وكان مولده في بغداد بأرض العراق .

- **نشأته وطلبه للعلم :** نشأ ابن الجوزي يتيمًا ، حيث مات والده وهو في سن الطفولة فحُرم من رعاية الأب ؛ ولكن الله ـ تعالى ـ هيأ له نشأة صالحة يقول عنها : " .. لأني رأيت أنه [أي الله تعالى] قد رباني منذ كنت طفلا ، فإن أبي مات وأنا لا أعقل ، والأم لم تلتفت إليَّ " (٤) .

فقد تكفلت عمته برعايته وتربيته عندما شُغلت أمه عنه . ولما ترعرع حملته عمته إلى مسجد خاله أبي الفضل بن ناصر ليتتلمذ عليه ويطلب العلم " فاهتم به ، وأسمعه الحديث ، وحفظ القرآن الكريم ، وقرأه بالروايات على جماعةٍ من القراء ، واهتم بطلب العلم في كثيرٍ من الفنون " (٥) .

ويذكر ابن الجوزي في بعض كتاباته أنه نشأ محبا للعلم ، شغوفا به ، وأنه قضى زمن شبابه منشغلا بطلب العلم وتحصيله ، ولم يقضه في الانشغال بأمور الدنيا وطلب الملذات فكانت النتيجة أنه جنى ثمرة ذلك فيما بعد ، ولم يندم على ما فاته في زمن الصبا والشباب ، وفي ذلك يقول : " ولقد تأملت نفسي بالإضافة إلى عشيرتي الذين أنفقوا أعمارهم في اكتساب الدنيا ، وأنفقت زمن الصبوة والشباب في طلب العلم ، فرأيتني لم يفتني مما نالوه إلا ما لو حصل لي ندمت عليه . ثم تأملت حالي فإذا عيشي في الدنيا أجود من عيشهم ، وجاهي بين الناس أعلى من جاههم ، وما نلته من معرفة العلم لا يُقاوم " (٦) .

وعلى الرغم من أن ابن الجوزي قد لقي الكثير من الشدائد في سبيل طلب العلم إلا أن ذلك لم يثنه أو يمنعه عن الاستمرار والصبر والتحمل طمعا في نيل ما يطلبه ويرجوه من الثواب والمنزلة الرفيعة ؛ وفي ذلك يقول : " كنت في زمن الصبا آخذ معي أرغفة يابسة فأخرج في طلب الحديث ، وأقعد على نهر عيسى فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء . فكلما أكلت لقمة شربت عليها ، وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم . فأثمر ذلك عندي أني عُرفت بكثرة سماعي لحديث رسول الله e وأحواله وآدابه ، وأحوال أصحابه وتابعيهم " (٧) .

- **ابن الجوزي واعظا ومؤلفا :** اشتهر ابن الجوزي منذ نشأته بفن الوعظ الذي برع فيه منذ الصغر ، وجُعل له القبول التام عند الناس ، فقد كان وعظه مؤثرا ترق له القلوب ، وتدمع معه العيون ، وكانت له ملكة عجيبة ، وبديهة حاضرة ،حتى حُكي أن مجالس وعظه كانت تغص بالمستمعين ، وتمتلئ بالحضور من مختلف الفئات والطبقات ، وحضر مجالس وعظه الوزراء ، والحكام ، والعلماء . وكان لوعظه أثر كبير في النفوس يصفه بقوله :

" .. ولقد تاب على يدي في مجالس الذكر أكثر من مائتي ألف ، وأسلم على يديَّ أكثر من مائتي نفس . وكم سالت عين متجبرٍ بوعظي لم تكن تسيل .. ولقد جلست يوما فرأيت حولي أكثر من عشرة الآف ما فيهم إلا من قد رقَّ قلبه ، أو دمعت عينه " (٨) .

ومع شهرة ابن الجوزي في الوعظ إلا أنه كان قد برع وتألق في ميادين مختلفة من العلوم وفنون المعرفة فقد ألف وصنّف في مختلف العلوم كالتفسير ، والحديث ، والفقه ، والتاريخ ، وعلوم اللغة ، والفروسية ، والطب ، وغير ذلك . ومن أشهر مؤلفاته : كتاب (صيد الخاطر) ، وكتاب (ذم الهوى) ، وكتاب (أخبار الحمقى والمغفلين) ، وكتاب (اللطائف) ، وكتاب (التبصرة) ، وكتاب (الأذكياء) ، وكتاب (الطب الروحاني) ، وكتاب (نقد العلم والعلماء أو تلبيس إبليس) ، وغيرها من المؤلفات المتنوعة والفريدة في فنها .

وما ذلك إلا لعلو همته وصدق عزيمته التي لم تكن تعرف الملل والكسل . وفي ذلك يقول عن نفسه :

" ونظرت إلى علو همتي فرأيتها عجبا . وذلك أنني أروم من العلم ما أتيقن أني لا أصل إليه ، لأنني أحب نيل كل العلوم على اختلاف فنونها ، وأريد استقصاء كل فن ، وهذا أمرٌ يعجز العمر عن بعضه " [٩] .

ولذلك فقد كان كثير التأليف والتصنيف حتى بلغت مؤلفاته وتصانيفه المئات في شتى العلوم والفنون والمعارف .

= **وفاته :** توفي ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ في شهر رمضان عام ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م . وله من العمر سبع وثمانون سنة ، وازدحم الناس في منظرٍ مهيبٍ لتشييع جنازته .

وبعد ؛ فهذا واحدٌ من الأيتام العُظماء الذين سجلوا أسماءهم خالدة في ذاكرة التاريخ ، ولم يمنعهم يُتمهم من الجد والاجتهاد ، لتحقيق النجاح وبلوغ أعلى الدرجات ، ولم يثنهم ذلك اليتم عن طلب العلم الذي وصلوا به إلى أعلى المراتب التي نالوا بها منازل رفيعة فاقت كثيرا من آمال وطموحات معاصريهم ممن عاشوا في كنف الآباء والأمهات . قال الشاعر :

لا تعجلنّ فربّما ..... عجلَ الفتى فيما يضرّه

فالعيشُ أحلاهُ يعـو ..... دُ على حلاوتـه بمـرّه

ولربّما كره الفتى ..... أمرا عواقبهُ تسرّه

* * * * *

الهوامش والمراجع

(١) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي . (د . ت) . **نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء** . تحقيق واختصار / محمد حسن عقيل موسى ، ج (٣) ، جده : دار الأندلس ، ص (١٥٠٢) .

(٢) المرجع السابق ، ص (١٥٠٢) .

(٣) أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي . (د . ت) . **صيد الخاطر** . جده : مكتبة العلم . ص (٢) .

(٤) المرجع السابق ، ص (٢٣٦) .

(٥) عبد البديع عبد العزيز الخولي . (١٩٩١م) . **التربية والتعليم عند ابن الجوزي** . القاهرة : عالم الكتب . ص (٣١) .

(٦) أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، مرجع سابق ص (٢٣٥) .

(٧) المرجع السابق ، ص (٢٣٥) .

(٨) المرجع السابق ، ص (٢٣٦) .

(٩) المرجع السابق ، ص (٢٣٩) .

=-=-=-=-=

نحو تطويرٍ معرفيٍ إسلاميٍ لمناهجنا الدراسية

=-=-=-=

الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير ، نبينا محمدٍ بن عبد الله الذي جاء بخير منهجٍ وأعظم تربية ، وعلى آله الأخيار ، وصحابته الأطهار . أما بعد :

فقد طالعتنا وسائل الإعلام المختلفة في بلادنا منذ فترةٍ ليست بالطويلة بتوضيحٍ لمهام وأهداف وأعضاء (**لجنة التربية**) التي أسندت إليها مهمة العمل على تنقيح وتعديل وتطوير المناهج والمقررات الدراسية لمختلف مراحل التعليم في بلادنا تبعا لما تقتضيه المصلحة العامة التي تفرض القيام بهذه المهمة بين وقتٍ وآخر للتعرف على نقاط القوة وتعزيزها ، وتلمُس نقاط الضعف والعمل على معالجتها ؛ إضافة إلى أهمية استيعاب هذه المناهج لمختلف المتغيرات الحياتية التي نعيشها في وقتنا الحاضر ؛ لاسيما وأن العالم من حولنا يعيش كثيرا من التطورات المتسارعة في شتى مجالات الحياة وميادينها ؛ مع مراعاة التمسك والمحافظة على الثوابت والمقومات والمبادئ والقيم الرئيسة لأمتنا الإسلامية ، والاهتمام بحاجة ومُتطلبات سوق العمل المعاصرة من الطاقات والمواهب المؤهلة علميا وعمليا ومعرفيا ؛ والتي تكفل – بإذن الله تعالى – توفير الفرص الوظيفية اللازمة لأبناء هذه البلاد سواء في القطاع الحكومي أو القطاع الخاص .

وانطلاقا من كون وزارة التربية والتعليم في بلادنا تتبنى مشروعا شاملا لتطوير المناهج الدراسية وإعادة النظر في مناهج التعليم ومُقرراتها ، وحيث إن مشروع تطوير المناهج قد وصل إلى مرحلة إعداد المواد التعليمية وتأليف الكتب والمقررات والمواد التعليمية ، وتم تشكيل مجموعة من اللجان لإعداد وتأليف هذه المواد ؛ فإنني أطرح اقتراحا أرى أن على السادة **أعضاء لجنة التربية** وغيرهم من الأعضاء في فرق العمل المختلفة أن يولوه اهتمامهم وعنايتهم الخاصة لأهميته

القصوى ، وخصوصيته الفريدة التي تفرض علينا جميعا عدم تفويت الفرصة العظيمة التي توجب علينا استثمارها واغتنامها بشكلٍ إيجابيٍ في هذا الشأن سواء على مستوى التعليم العام أو التعليم الجامعي لما في ذلك من خدمةٍ لما يفرضه علينا ديننا الإسلامي العظيم ، وتحقيقٍ لما ننشده جميعا لبلادنا ومجتمعنا من تقدمٍ ورقيٍ حضاريٍ قائمٍ على أسسٍ راسخة وركائز ثابتة .

ويتمثل هذا الاقتراح في أهمية الأخذ بعين الاعتبار [عند تطوير مناهج بعض المواد الدراسية مثل : مواد العلوم (الأحياء ، والكيمياء ، والفيزياء) ، ومادتي الجغرافيا والجيولوجيا] تحقيق الإفادة العلمية المطلوبة من مُنجزات وأبحاث **هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسُنة** التي يرجع تاريخ تأسيسها إلى سنة ١٤٠٦هـ ، والتي تضم في عضويتها عددا من العلماء المبرزين في مختلف بلدان العالم الإسلامي ، وتتخذ من رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة مقرا لها ؛ لاسيما وأن من أبرز أهداف هذه الهيئة كما تشير إلى ذلك بعض مطبوعاتها تتمثل في ما يلي :

١ـ صبغ العلوم الكونية بالصبغة الإيمانية ، وإدخال مضامين الأبحاث المعتمدة في مناهج التعليم في شتى مؤسساته ومراحله .

٢ـ نشر هذه الأبحاث بين الناس بصورةٍ تتناسب مع مستوياتهم العلمية والثقافية "[١] .

ولعل ما يُبرر العناية والاهتمام بهذا الاقتراح أننا ـ ولله الحمد والمنة ـ أبناءُ مجتمع مسلمٍ ومُتميز في كل جزئية من جزئيات حياتنا ، ونعلم يقينا أنه لا يمكن أن تكون لنا عزة أو رفعة أو كيان إلا بالمحافظة على معالم ديننا الحنيف ، والاعتزاز به ، والتمسك بتعاليمه السامية وهديه المبارك . ثم إن لائحة المشروع الشامل لتطوير مناهج التعليم التي أعلنت عنها وزارة التربية والتعليم (المعارف سابقا) ، قد نصت في البند الثالث تحت عنوان : **مرجعيات التطوير** ، على أن " وثيقة سياسة التعليم في المملكة تعد المرجع الأول الذي يعتمد عليه مشروع التطوير الشامل للمناهج "[٢] .

وهذا يعني أن الإفادة من نتائج الأبحاث المعتمدة في المجالات العلمية المختلفة من قبل هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسُنة ، والعمل على إدخالها ضمن المناهج التعليمية في مختلف المراحل الدراسية في بلادنا أمرٌ مطلوب ومهم جدًا لنا في هذه المرحلة الحضارية التي نعيشها ، والتي ـ لا شك ـ أن التطور العلمي المعاصر قد شمل كل جزئيةٍ وكل شأنٍ من شؤون الحياة فيها .

ومن هنا فإن تضمين مناهجنا لنتائج هذه الأبحاث والدراسات العلمية الحديثة سوف يُحقق الكثير من الميزات والخصائص التي منها :

أولا / الإقدام على خطوةٍ مباركةٍ وخصوصية مُميزة في مجال تطوير المناهج التعليمية من منظورٍ إسلامي صحيحٍ وغير مسبوق ؛ وليس غريبا أن تكون المملكة العربية السعودية هي صاحبة التميز والريادة في هذا الشأن .

ثانيا / تأكيد الهوية الإسلامية التي ينبغي أن تنفرد بها مناهجنا التعليمية في مختلف المجالات والميادين العلمية ؛ ولن يتحقق ذلك إلا من خلال العمل الجاد لتوجيه مختلف المعارف والعلوم في مناهجنا التعليمية ومقرراتها الدراسية توجيها إسلاميا صحيحا نابعا من كتاب اللّه العظيم ، وسُنة رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم .

ثالثا / العمل على تصحيح مسار العلم التجريبي في العالم المعاصر ، والحرص على كشف الحقائق العلمية الكونية المختلفة للناس في كل مكان ، من خلال تقديم خلاصة ما توصلت إليه الأبحاث والدراسات والتجارب العالمية المعاصرة التي تهتم بها هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسُنة وغيرها من المؤسسات والمنظمات العلمية ذات العلاقة .

رابعا / محاولة العودة مرة أخرى إلى مركز القيادة الأممية التي أشار إليها رئيس وزراء ماليزيا (السابق) / **مهاتير محمد** في حديثه لندوة (**الرؤية المستقبلية للاقتصاد السعودي**) التي عُقدت في وزارة التخطيط منذ عدة سنوات ، حيث قال : " ويعلم اللّه أن الأمة الإسلامية في أمس الحاجة لدولة مسلمة تكون قوة عالمية ، والمملكة العربية السعودية في موقع جيدٍ لأن تكون قوة عالمية إذا ما اختارت لنفسها ذلك ، وأعانتها عليه الأمة الإسلامية في سائر أنحاء العالم "[٣] .

وهنا يمكن القول : إن ذلك لن يحدث إلا إذا قامت نهضة فعلية في المجال التعليمي من حيث المحتوى والمبادئ والطرائق والأساليب ، إضافة إلى العناية بالأبحاث العلمية المتطورة والموجهة توجيهًا إسلاميًا صحيحًا ، والتي تهدف إلى تحقيق الإنجازات والعناية بالاختراعات على جميع المستويات .

وبعد ؛ فإن هذا الاقتراح يأتي في وقتٍ نحن فيه بأمس الحاجة إلى إعادة النظر في مناهجنا العلمية والتعليمية التي كثر الحديث عنها ما بين مؤيدٍ ومُعارض ؛ والتي آن الأوان لأن نُثبت للعالم أجمع ـ من خلالها ـ أننا أصحاب رسالة عالمية هادية مهدية ، وأصحاب وحيٍ سماويٍ صالحٍ لكل زمانٍ ومكان . وأن يُراعى في ذلك أن يُفعَّل هذا الاقتراح في مختلف مراحل النظام التعليمي حتى يمكن لها أن تُعطي مُخرجاتٍ تعليميةٍ تُغيِّر من الواقع التعليمي والمجتمعي الموجود ، وأن يتفق ذلك كله مع حاجة المجتمع إلى الأيدي العاملة المؤهلة والقادرة على تلبية حاجاته ومُتطلباته المختلفة .

فهل لنا أن نسعد بتحقيقه لنقدم للعالم كله الحقائق العلمية الصادقة مُدعمة بالدليل الإلهي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟ !

وهل يُمكن أن نُقدم للعالم من حولنا منهجية علمية صحيحة تقوم على أساليب ووسائل دعوية قوية ومؤثرة ؟

هذا ما نرجوه ونؤمله من **أعضاء لجنة التربية وغيرهم من الأعضاء في فرق العمل المختلفة** المعنية بهذا الشأن ، والله نسأل أن يوفق الجميع لما فيه الهداية والرشاد ، والتوفيق والسداد ، والحمد لله رب العباد .

* * * * *

= **الهوامش**

(١) مطوية بعنوان : **حقائق علمية في القرآن والسنة بهرت العالم** .(د . ت) . هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة . ص (٥) .

(٢) مجلة **مناهج** . العدد الأول . (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م) . المشروع الشامل لتطوير المناهج . ص (١٢) .

(٣) **رسالة المعارف** . العدد (٤٢) ، (رمضان ١٤٢٣هـ / نوفمبر ٢٠٠٢م) . ص (١٢) .

=======

من منافع الحج والعُمرة
للتربية الجسمية عند المسلم

=_ =_ =_ =

الحمد للّه رب العالمين ، ولي الصالحين ، وخالق الناس أجمعين . والصلاة والسلام على رسولنا ونبينا محمدٍ بن عبد اللّه الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد :

فيُعد الحج إلى بيت اللّه الحرام في مكة المكرمة أحد الأركان الخمسة التي بني عليها دين الإسلام ، وهو فريضة افترضها اللّه ـ جل وعلا ـ على عباده مرة واحدة في العُمر لمن استطاع بدنيا وماليا وأمنيا لقوله تعالى : ***[وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً]*** (آل عمران : من الآية ٩٧) . و لقوله جل في عُلاه : ***[وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ]*** (الحج : ٢٧) .

ولما ثبت عن أبي هريرة e أنه قال : خطبنا رسول اللّه e فقال : " **يا أيها الناس ، قد فرض اللّه عليكم الحج ، فحجوا** " (مسلم ، ج ٢ ، الحديث رقم ١٢٣٧، ص ٧٩٥) .

أما العُمرة فهي سُنة واجبة لقوله U : ***[وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ]*** (سورة البقرة : من الآية ١٩٦) .

والحج والعُمرة من أفضل العبادات وأعظمها أجرا وثوابا ؛ حيث يغفر اللّه تعالى بهما ذنوب العبد ، ويكفّر عن خطاياه ، لما صح عن أبي هريرة t ، أن رسول اللّه e ، قال : " **العُمرة إلى العُمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة** " (البخاري ، الحديث رقم ١٧٧٣، ص ٣٥١) .

كما أن في الحج على وجه الخصوص منافع عظيمة وفوائد جمة ؛ فقد ورد أنه من أفضل الأعمال الصالحة ، وأنه جهادٌ لا قتال فيه ، وأنه يمحق الذنوب ، وأن ثوابه الجنة . كما أن فيه الكثير من الدروس التربوية التي تشمل مختلف جوانب شخصية الإنسان المسلم الروحية والعقلية والجسمية .

وحيث إن أداء عبادتي الحج والعُمرة يعتمد اعتمادا كبيرا ومباشرا على الجانب الجسمي للإنسان انطلاقا من كون مختلف أعضاء الجسم وسائر جوارحه تشترك في أدائهما ؛ فإن هذا يعني أن " للجسم نصيبا أكبر من تأثيرات هذه العبادة ، فالأقدام تسعى وتهرول ، والأيادي ترتفع مشيرة إلى الحجر الأسود أو لرمي الجمرات ، أو مرفوعة في ضراعةٍ لرب الأرض والسماء . وأما جارحة اللسان فلها أوفى نصيب عندما تتجنب السيئات ، وتتحرك لاهجة بذكر الله في كل مرتفع ومنخفض " (١) .

كما أن في أداء شعائر هاتين العبادتين تدريبا للجسم على تحمل المشاق ومتاعب السفر ، وإكسابه الصحة والقوة ـ بإذن الله تعالى ـ فالتنقل بين المشاعر المقدسة ، والطواف ، والسعي ، ورمي الجمرات ، وغير ذلك من أعمال الحج والعُمرة ومناسكهما تحتاج إلى جسمٍ صحيحٍ قويٍ قادرٍ على أداء ذلك الجهد البدني الكبير بقوةٍ و نشاطٍ ، وهمةٍ عالية ؛ لأن " الحج سفر وانتقال من بلدٍ إلى بلد ، وفي هذا الانتقال ، وهذا السفر ، حركة دائبة لجسم الإنسان ، وكُل حركةٍ لمفصلٍ في الجسم ، أو عضدٍ ، أو عضلةٍ ، هي رياضة بدنية مفيدة لجسم الإنسان بجميع أجهزته " (٢) .

وهذا يعني أن في الحج والعُمرة تدريبا لجسم الإنسان على مواجهة الظروف الطارئة من خلال تربيته وتعويده حال أداء مناسكهما على احتمال الشدائد ، والصبر على المكاره ، وليس هذا فحسب ؛ فإن في أداء الحاج والمعتمر للنسك إظهارا لمدى نشاط الإنسان وقدراته الجسمية ، إضافة إلى كون ذلك من أسباب ودواعي صحة الجسم " فالحج مناسبة لرفع مستوى الصحة عند الأفراد ، وزيادة معايير اللياقة والرشاقة ، وحسن التكيُف لأولئك الذين تجردوا عن العادات المألوفة ، وأعلنوا بتلبيتهم ، ولبسهم لثياب الإحرام استعدادهم لتحمل كل الطوارئ طاعة لله ، فكافأهم الله بالثواب مع القوة ، والرضا مع الصحة " (٣) .

وبذلك يمكن القول : إن في رحلة الحج المباركة رياضة جسمية يشترك فيها جميع أعضاء الجسم حيث تتحرك مفاصله ، وعضلاته ، وتنشط حواسه ، وجوارحه ، الأمر الذي يعود عليها كلها بكثيرٍ من الفوائد الصحية .

ومن منافع أداء مناسك الحج والعمرة أنهما يستلزمان من الإنسان المحافظة على نظافة جسمه وطهارته لما ثبت عن نافع أنه قال : **كان ابن عمر (رضي الله عنهما) إذا دخل أدنى الحرم أمسك عن التلبية ، ثم يبيت بذي طوى ، ثم يُصلي به الصبح ويغتسل ، ويُحدّث أن نبي الله e كان يفعل ذلك** " (البخاري ، الحديث ، رقم ١٥٧٣، ص ٣١٣) .

وهنا تجدر الإشارة إلى أن من سُنن الحج والعُمرة الاغتسال للإحرام ، فعن زيد بن ثابت t " **أنه رأى النبي e تجرّد لإهلاله واغتسل** " (الترمذي ، ج ٢ ، الحديث رقم ٨٣١ ، ص ٢٢٨) .

والمعنى أن الاغتسال أمرٌ مطلوبٌ من الحاج والمعتمر عند الإحرام لما في ذلك من المحافظة على طهارة الجسم ونظافته ، وإزالة أقذاره وأدرانه ، وليس هذا فحسب فللحاج والمعتمر أن يغسلا جسميهما بعد إحرامهما متى احتاجا لذلك حتى يحافظا على طهارتهما ونظافتهما ؛ لأن إفرازات الجلد المختلفة مثل العرق والدهون و نحوها تتراكم على السطح الخارجي لجسم الإنسان ، لاسيَّما مع بذل الجهد البدني فيُحدث ذلك حكة شديدة في الجسم فكان لا بد من المحافظة على نظافة الجسم وإزالة ما يعلق به بين حين وآخر .

كما أن من منافع الحج والعُمرة للجسم أنهما يُربيان الإنسان المسلم على ضبط بعض الحاجات والدوافع المختلفة ، إضافة إلى التدريب على التحكم في الشهوات في وقتٍ معين ؛ إذ إن " في الحج تدريبا للإنسان على ضبط النفس والتحكم في شهواتها واندفاعاتها ، إذ يتنزه الحاج وهو محرم عن مباشرة النساء ، وعن الجدل ، والخصام ، والشحناء ، والسباب ، وعن المعاصي ، وكل ما نهى الله تعالى عنه " (٤) .

ولعل هذا من أعظم الآثار التربوية التي يعود نفعها على صحة الإنسان لما في ذلك من تدريبٍ للجسم على مقاومة أهوائه ، وضبط اندفاعاته ورغباته انطلاقا من قوله تعالى : [الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج] (سورة البقرة : الآية رقم ١٩٧) .

يضاف إلى ما سبق أن عبادتي الحج والعُمرة تشتملان على بعض الرياضات البدنية المفيدة للجسم بما تبعث فيه من الحيوية والنشاط ؛ فالطواف بالبيت الحرام يشتمل على نوعين من أنواع الرياضة البدنية هما : العدو الخفيف (الهرولة) ، والمشي ؛ فقد صح عن ابن عمر (رضي الله عنهما) أنه قال :

" **سعى النبي e ثلاثة أشواط ، ومشى أربعة في الحج و العمرة** " (البخاري ، الحديث رقم ١٦٠٤ ، ص ٣١٩) .

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال :

" **قدم رسول الله e وأصحابه ، فقال المشركون : إنه يقدم عليكم وفد وهنهم حمّى يثرب . فأمرهم النبي e أن يرمُلوا الأشواط الثلاثة و أن يمشوا ما بين الركنين . ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم** " (البخاري ، الحديث رقم ١٦٠٢، ص ٣١٩) .

ويُقصد بالرَمل " الإسراع في المشي مع هز الكتفين وتقارب الخُطا ، وقد شُرع إظهارا للقوة والنشاط " (٥) .

ومن الرياضات البدنية في الحج والعُمرة السعي بين الصفا والمروة الذي يشتمل على رياضة المشي بينهما للرجال والنساء ، إضافة إلى رياضة الهرولة للرجال فقط حيث " يُندب المشي بين الصفا والمروة ، فيما عدا ما بين الميلين ، فإنه يُندب الرَّمَلُ بينهما ، أما المرأة فإنه لا يُندب لها السعي (أي الهرولة) ، بل تمشي مشيا عاديا " (٦) .

وحيث إن السعي يشبه الطواف في اشتماله على بعض الرياضات البدنية ؛ فإنه يمكن القول : إن كُلاً منهما " لو طبقنا عليهما أصول الرياضة البدنية الحديثة ؛ فإننا سنجد أنهما تشبهان رياضة الجري والمشي اللتين يدعو لهما الرياضيون في العصر الحاضر ، وينظرون إليهما على أنهما من أسهل وأهم الرياضات البدنية لجسم الإنسان ؛ إذ يمكن أن يقوم بهما الإنسان الصغير والإنسان الكبير حتى ولو كان مسنا ، وتفيد كلاً منهما " (٧) .

وليس هذا فحسب فهناك التنقل بين المشاعر المقدسة (منى ، وعرفات ، ومزدلفة ، ومنطقة رمي الجمرات في منى) التي يؤدي الحاج خلالها بعض أنواع الرياضات البدنية التي يعود نفعها على مختلف أجزاء الجسم وأعضائه الظاهرة والباطنة .

كما أن في تجريد معظم أعضاء جسم الإنسان من الثياب عند لبس الإحرام تعريضا للرأس ، والرقبة ، واليدين ، والساقين ، للهواء الطلق ، ولأشعة الشمس ، وغيرها من الظروف الجوية التي ينتج عنها في الغالب إكساب الجسم شيئا من النشاط والحيوية ، وهو ما يُشير إليه أحد الكُتاب بقوله :

" هناك حكمة صحية (من لبس الإحرام) فقد قال الأطباء : إن الإنسان يلزمه أن يعرِّض جسمه وبدنه للهواء الطلق ، ومؤثرات الجو مدة من الزمن لكي يستريح فيها الجسم ويسترجع قواه ، ويستعيد نشاطه بملاصقة (أكسجين) الهواء لجميع مسامّ الجسم ، وبذلك يكتسب الصحة والعافية من اللّه تعالى " (٨) .

ومعنى ذلك أن ارتداء الحاج والمعتمر لملابس الإحرام يُمكِّن الجسم من تحقيق بعض المنافع الصحية ، إذ إن ذلك " سيُعطي مسام الجسم الفرصة طول فترة إحرامه لمباشرة الهواء ؛ فيستعيد الجسم ما فقده من القوة الطبيعية ، فيستريح الجسم ، ويجدد نشاطه ، ويكتسب بذلك الصحة الجسمية والعافية " (٩) .

وليس هذا فحسب ؛ فإن في أداء الإنسان لعبادتي الحج والعمرة منفعة عظيمة تتمثل في تخليص الجسم مما قد يُسبب له الأذى مثل الشعر الطويل ، والأظفار ، وشعر العانة ، وشعر الإبطين ، ونحو ذلك مما قد يكون مظنة اجتماع الجراثيم والميكروبات ونحوها ، ولذلك " يُسن للحاج والمعتمر قبل الإحرام أن يحلق عانته ، وينتف إبطه ، ويُقلّم أظافره ، ويقص شاربه ، ويغتسل ويتطيّب ، ويُسن له مع إحرامه أن يُزيل الأوساخ ، ويغتسل عند دخوله مكة ، وعند الطواف ، وعند دخول منى وعرفة ، وهذا كله يدل على أهمية العناية بالبدن في الحج .. هذا فضلاً عن آثار الحركة الكثيرة في الحج في تحمل الأتربة ، وخروج العرق ، وهذا

قد يسُد مسام الغُدد العرقية فيؤدي إلى أمراضٍ جلدية ، وبقاء نفاياتٍ سامةٍ بداخل الجسم" (١٠) .

وأخيرا ، فإن هناك منفعة صحية عظيمة وعامة تتمثل في وقاية الجسم من العدوى وانتقال الأمراض التي تنتشر بين الحجاج عن طريق حلق شعر الرأس الذي حث عليه النبي e للحاج والمعتمر ؛ فعن أبي هريرة t ، أنه قال : قال رسول الله e : **" اللهم اغفر للمُحلقين". قالوا : وللمُقصرين . قال : " اللهم اغفر للمُحلقين". قالوا : وللمقصرين . قال : " اللهم اغفر للمُحلقين". قالوا : وللمقصرين ، قال : " وللمُقصرين "** (البخاري ، الحديث رقم ١٧٢٨، ص ٣٤٢) .

وكما هو معلوم أن في حلق شعر الرأس عند الإنسان فوائد صحية عديدة مثل تعريض جلدة الرأس للهواء الطلق ، وأشعة الشمس ، وتنشيط حركة الدورة الدموية فيها ، ولاسيما إذا ما روعيت شروط السلامة في هذا الشأن ، كأن يحرص الحاج على عدم استخدام أدوات الحلق الخاصة بحاجٍ آخر ، وأن يهتم بتوفير النظافة المطلوبة منعًا لانتقال العدوى بين الحُجاج .

وبعد ؛ فهذه بعض المنافع الجسمية التي تتحقق لجسم الإنسان عندما يؤدي عبادتي الحج أو العمرة ، والتي لاشك أنها تأتي من ضمن المنافع العديدة التي تتحقق للإنسان عندما يؤديها طائعا مُختارا مُخلصا لا يبتغي بها إلا الامتثال لأمر الله جل في علاه وابتغاء ما عنده من الأجر العظيم والثواب العميم .

* * * * *

الهوامش

١- الطويل ، السيد رزق . عبادة الحج بين الكيان الإنساني و خرافة اللامعقول . ***مجلة الحج*** . مجلة شهرية تصدرها وزارة الحج بمكة المكرمة ، ج (١٠) ، س (٥٠) ، ربيع الأخر ١٤١٦هـ / سبتمبر ١٩٩٥م ، ص (١٧) .

٢- محمد ، محمد عبد السلام ، وآخرون . (١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م) . ***دراسات في الثقافة الإسلامية*** . ط (٥) . الكويت : مكتبة الفلاح ، ص (٥٧٦) .

٣- حداد ، عبد الحفيظ . (١٤٠٨هـ). ***الإسلام و الصحة العامة*** . رسالة دكتوراه غير منشورة . جامعة بهاو البور الإسلامية ، جمهورية باكستان الإسلامية ، ص (٤٧٣) .

٤- نجاتي ، محمد عثمان . (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) . ***القرآن وعلم النفس*** . القاهرة : دار الشروق . ط (٥) ، ص (٢٩٦) .

٥ـ سابق ، السيد . (١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) . ***فقه السنة*** . ط (٦) . بيروت : دار الكتاب العربي ، ص (٧٠١) .

٦ـ سابق ، السيد . (١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) . المرجع السابق ، ص ص (٧١٤ – ٧١٥) .

٧ـ محمد ، محمد عبد السلام ، وآخرون . (١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م) . مرجع سابق ، ص (٥٧٧) .

٨ـ العبَّادي ، حامد محمد عبد الله . (١٤١٨هـ / ١٩٩٨م) . ***من حِكم الشريعة و أسرارها*** . ط (٤) . مكة المكرمة : مطابع الصفا ، ص (١٤٢) .

٩ـ الزهراني ، صالح بن يحيى . (١٤١٦هـ) . ***الدور التربوي للحج*** . رسالة ماجستير غير منشورة : كلية التربية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ص (١٢٦) .

١٠ـ سلطان ، صلاح الدين . ***الآثار التربوية للعبادات في العقل والجسد*** . ضمن سلسلة (في التنوير الإسلامي) . العدد (٤٦) . مدينة السادس من أكتوبر : دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع . يناير ٢٠٠٢م ، ص ص (٨١ ـ ٨٢) .

المراجـــــــع

١ـ القـرآن الكـريم .

٢ـ البخاري ، محمد بن إسماعيل .(١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) . ***صحيح البخاري*** . الرياض : دار السلام .

٣ـ الترمذي ، محمد بن عيسى . (١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) . ***سُنن الترمذي*** . مراجعة وضبط وتصحيح / صدقي جميل عطار ، بيروت : دار الفكر .

٤ـ مسلم ، مسلم بن الحجاج . (١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م) . ***صحيح مسلم*** . بيروت : دار ابن حزم .

الأيام العشر من شهر ذي الحجة

(فضلها ، خصائصها ، الدروس التربوية المستفادة منها)

=-=-=-=

الحمد للّه الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام ، والصلاة والسلام على من بعثه اللّه تعالى بشيرا ونذيرا ، وسراجا مُنيرا للناس كافة ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، والتابعين وتابع التابعين إلى يوم الدين . أما بعد ؛

فتمتاز حياة الإنسان المسلم بأنها زاخرة بالأعمال الصالحة ، والعبادات المشروعة التي تجعل المسلم في عبادةٍ مُستمرةٍ ، وتحوّل حياته كلّها إلى قولٍ حسنٍ ، وعملٍ صالحٍ ، وسعيٍ دؤوبٍ إلى اللّه جل في عُلاه ، دونما كللٍ أو ملٍ أو فتورٍ أو انقطاع . والمعنى أن حياة الإنسان المسلم يجب أن تكون كلّها عبادة وطاعة وعملٌ صالحٌ يُقربه من اللّه تعالى ، ويصِله بخالقه العظيم جل في عُلاه في كل جزئيةٍ من جزئيات حياته ، وفي كل شأنٍ من شؤونها .

ومن هنا فإن حياة الإنسان المسلم لا تكاد تنقطع من أداء نوعٍ من أنواع العبادة التي تُمثل له منهج حياةٍ شاملٍ مُتكامل؛ فهو على سبيل المثال مكلفٌ بخمس صلواتٍ تتوزع أوقاتها على ساعات اليوم والليلة ، وصلاة الجمعة في الأسبوع مرة واحدة ، وصيام شهر رمضان المبارك في كل عام ، وما أن يفرغ من ذلك حتى يُستحب له صيام ستة أيامٍ من شهر شوال ، وهناك صيام يومي الإثنين والخميس من كل أسبوع ، وصيام ثلاثة أيامٍ من كل شهر ، ثم تأتي الأيام العشرة الأولى من شهر ذي الحجة فيكون للعمل الصالح فيها قبولٌ عظيمٌ عند اللّه تعالى .

وليس هذا فحسب ؛ فهناك عبادة الحج وأداء المناسك ، وأداء العُمرة ، وصيام يوم عرفة لغير الحاج ، ثم صيام يوم عاشوراء ويوم قبله أو بعده ، إضافة إلى إخراج الزكاة على من وجبت عليه ، والحثُ على الصدقة والإحسان ، والإكثار من التطوع في العبادات ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقول أو العمل أو النية ، إلى غير ذلك من أنواع العبادات والطاعات والقُربات القولية والفعلية التي تجعل من حياة المسلم حياة طيبة ، زاخرة بالعبادات المستمرة ، ومُرتبطة بها بشكلٍ مُتجددٍ دائمٍ يؤكده قول الحق سبحانه وتعالى : **{ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ }** (سورة الشرح : الآية رقم ٧) .

ومن هنا فإن في حياة المسلم مواسمُ سنوية يجب عليه أن يحرص على اغتنامها والاستزادة فيها من الخير عن طريق أداء بعض العبادات المشروعة ، والمحافظة على الأعمال والأقوال الصالحة التي تُقربه من اللّه تعالى ، وتُعينه على مواجهة ظروف الحياة بنفس طيبةٍ وعزيمةٍ صادقة .

وفيما يلي حديثٌ عن فضل أحد مواسم الخير المتجددة في حياة الإنسان المسلم ، والمتمثل في الأيام العشرة الأولى من شهر ذي الحجة وما لها من الفضل والخصائص ، وبيان أنواع العبادات والطاعات المشروعة فيها؛ إضافة إلى بعض الدروس التربوية المستفادة منها .

* فضل الأيام العشرة

= أولاً / في القرآن الكريم :

وردت الإشارة إلى فضل هذه الأيام العشرة في بعض آيات القرآن الكريم ، ومنها قوله تعالى : **{ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ $ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ }** (سورة الحج : الآيتان ٢٧ ـ ٢٨) . حيث أورد ابن كثير في تفسير هذه الآية قوله : " عن ابن عباس رضي اللّه عنهما : الأيام المعلومات أيام العشر " (١) .

كما جاء قول الحق تبارك وتعالى : **{ وَالْفَجْرِ $ وَلَيَالٍ عَشْرٍ }** (سورة الفجر : الآيتان ١ – ٢) . وقد أورد الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية قوله :

" وقوله : **" وَلَيَالٍ عَشْرٍ "** ، هي ليالي عشر ذي الحجة ، لإجماع الحُجة من أهل التأويل عليه " (٢) .

وأكد ذلك ابن كثير في تفسيره لهذه الآية بقوله : " والليالي العشر المراد بها عشر ذي الحجة كما قاله ابن عباسٍ وابن الزبير ومُجاهد وغير واحدٍ من السلف والخلف " (٣) .

وهنا يُمكن القول : إن فضل الأيام العشر من شهر ذي الحجة قد جاء صريحا في القرآن الكريم الذي سماها بالأيام المعلومات لعظيم فضلها وشريف منزلتها.

= ثانياً / في السنة النبوية :

ورد ذكر الأيام العشرة من ذي الحجة في بعض أحاديث الرسول r ، التي منها :

الحديث الأول : عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال : يقول رسول الله e : **" ما من أيام العمل الصالح فيها أحبُ إلى الله من هذه الأيام (يعني أيام العشر)** . قالوا : يا رسول الله ، ولا الجهادُ في سبيل الله ؟ قال : **ولا الجهادُ في سبيل الله إلا رجلٌ خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء "** (أبو داود ، الحديث رقم ٢٤٣٨ ، ص ٣٧٠) .

الحديث الثاني : عن جابرٍ t ، عن النبي e ، أنه قال :" **إن العشرَ عشرُ الأضحى ، والوترُ يوم عرفة ، والشفع يوم النحر** "(رواه أحمد ، ج ٣ ، الحديث رقم ١٤٥٥١ ، ص ٣٢٧).

الحديث الثالث : عن جابر t ، أنه قال : قال رسول الله e : **" ما من أيام أفضل عند الله من أيام عشر ذي الحجة "**. قال : فقال رجلٌ : يا رسول الله هن أفضل أم عِدتهن جهادا في سبيل الله ؟ قال : **" هن أفضل من عدتهن جهادا في سبيل الله "** (ابن حبان ، ج ٩ ، الحديث رقم ٣٨٥٣ ، ص ١٦٤) .

الحديث الرابع : عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي e ، أنه قال : **" ما من عملٍ أزكى عند الله ولا أعظم أجرا من خيرٍ يعمله في عشر الأضحى** . قيل : ولا الجهادُ في سبيل الله ؟ . قال : " **ولا الجهادُ في سبيل الله إلا رجلٌ خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء** . قال وكان سعيد بن جُبيرٍ إذا دخل أيام العشر اجتهد اجتهادا شديدا حتى ما يكاد يُقدرُ عليه " (رواه الدارمي ، ج ٢ ، الحديث رقم ١٧٧٤ ، ص ٤١).

الحديث الخامس : عن جابر t ، أن رسول الله e ، قال : **" أفضل أيام الدنيا أيام العشر يعني عشر ذي الحجة "**. قيل : ولا مثلهن في سبيل الله ؟ . قال " **ولا مثلهن في سبيل الله إلا من عفّر** (أي مرَّغ خضوعًا وتذللاً) **وجهه في التراب "** (رواه الهيثمي ، ج ٤ ، ص ١٧).

وهنا يمكن القول : إن مجموع هذه الأحاديث يُبيِّن أن المراد بالأيام العشر تلك الأيام العشرة الأولى من شهر ذي الحجة المبارك .

* خصائص الأيام العشرة

للأيام العشرة الأول من شهر ذي الحجة خصائص كثيرة ، نذكرُ منها ما يلي :

(١) أن اللّه I أقسم بها في كتابه الكريم فقال Y : { **وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ** } (سورة الفجر : الآيتان ١ـ٢) . ولاشك في أن قسم اللّه تعالى بها يُنبئ عن شرفها وفضلها .

(٢) أن اللّه تعالى سماها في كتابه " **الأيام المعلومات** " ، وشرَع فيها ذكرهُ على الخصوص فقال سبحانه : { **وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ** } (سورة الحج : الآية ٢٨) ، وقد جاء في بعض التفاسير أن الأيام المعلومات هي الأيام العشرة الأول من شهر ذي الحجة .

(٣) أن الأعمال الصالحة في هذه الأيام أحب إلى اللّه تعالى منها في غيرها ؛ فعن عبد اللّه بن عمر t أنه قال : قال رسول اللّه r : " **ما من أيام أعظم عند اللّه ، ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر فأكثروا فيهن من التكبير والتهليل والتحميد** " (رواه أحمد ، مج ٢ ، ص ١٣١ ، الحديث رقم ٦١٥٤) .

(٤) أن فيها (يوم التروية) ، وهو اليوم الثامن من ذي الحجة الذي تبدأ فيه أعمال الحج .

(٥) أن فيها (يوم عرفة) ، وهو يومٌ عظيم يُعد من مفاخر الإسلام ، وله فضائل عظيمة ، لأنه يوم مغفرة الذنوب والتجاوز عنها ، ويوم العتق من النار ، ويوم المباهاة فعن أم المؤمنين عائشة ـ رضي اللّه عنها ـ أنها قالت : عن رسول اللّه r قال : " **ما من يوم أكثر من أن يُعتق اللّه عز وجل فيه عبدا من النار ، من يوم عرفة ، وإنه ليدنو ثم يُباهي بهم الملائكة ، فيقول : ما أراد هؤلاء ؟** " (رواه مسلم ، الحديث رقم ٣٢٨٨ ، ص ٥٦٨) .

(٦) أن فيها (ليلة جَمع) ، وهي ليلة المزدلفة التي يبيت فيها الحُجاج ليلة العاشر من شهر ذي الحجة بعد دفعهم من عرفة .

(٧) أن فيها فريضة الحج الذي هو الركن الخامس من أركان الإسلام .

(٨) أن فيها (يوم النحر) وهو يوم العاشر من ذي الحجة ، الذي يُعد أعظم أيام الدُنيا كما صح عن عبد اللّه بن قرْط ، عن النبي r ، أنه قال : " **إن أعظم الأيام عند اللّه تبارك وتعالى يوم النحر ، ثم يوم القرّ** " (رواه أبو داود ، الحديث رقم ١٧٦٥ ، ص ٢٧١) .

(٩) أن اللّه تعالى جعلها ميقاتا للتقرُب إليه سبحانه بذبح القرابين كسوق الهدي الخاص بالحاج ، وكالأضاحي التي يشترك فيها الحاج مع غيره من المسلمين .

(١٠) أنها أفضل من الأيام العشرة الأخيرة من شهر رمضان ؛ لما أورده شيخ الإسلام ابن تيمية وقد سئل عن عشر ذي الحجة والعشر الأواخر من رمضان أيهما أفضل ؟ فأجاب بقوله : " أيام عشر ذي الحجة أفضل من أيام العشر من رمضان ، والليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة " [٤] .

(١١) أن هذه الأيام المباركات تعد مناسبة سنوية مُتكررة تجتمع فيها أمهات العبادات كما أشار إلى ذلك ابن قيم الجوزية بقوله : " فإنه ليس من أيام

العمل فيها أحب إلى اللّه من أيام عشر ذي الحجة ، وفيها يوم عرفة ، ويوم النحر ، ويوم التروية " (٥) .

وقد يُضاف إلى ذلك أنه يمكن أن يجتمع في هذه الأيام من العبادات ما لا يمكن أن يجتمع في غيرها من صلاةٍ وصيامٍ وصدقةٍ وحجٍ وذكرٍ ونحو ذلك .

(١٢) أنها أيامٌ يشترك في خيرها وفضلها الحُجاج إلى بيت اللّه الحرام ، والمقيمون في أوطانهم لأن فضلها غير مرتبطٍ بمكانٍ مُعينٍ إلا للحاج .

* بعض العبادات و الطاعات المشروعة في الأيام العشرة

مما لاشك فيه أن عبادة اللّه تعالى والتقرب إليه بالطاعات القولية أو الفعلية من الأمور الواجبة والمطلوبة من الإنسان المسلم في كل وقتٍ وحين ؛ إلا أنها تتأكد في بعض الأوقات والمناسبات التي منها هذه الأيام العشرة من شهر ذي الحجة ، حيث أشارت بعض آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية إلى بعض تلك العبادات على سبيل الاستحباب ، ومن ذلك ما يلي :

= الإكثار من ذكر اللّه سبحانه وتعالى ودعائه وتلاوة القرآن الكريم

لقوله تبارك و تعالى : **{ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ }** (سورة الحج : الآية ٢٨). ولما حث عليه الهدي النبوي من الإكثار من ذكر اللّه تعالى في هذه الأيام على وجه الخصوص ؛ فقد صحّ عن عبد اللّه بن عمر ـ رضي اللّه عنهما ـ أنه قال : قال رسول اللّه r : " **ما من أيام أعظم عند اللّه ، ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر ، فأكثروا فيهن من التكبير ، والتهليل ، والتحميد** " (أحمد ، مج ٢ ، ص ١٣١ ، الحديث رقم ٦١٥٤) .

وهنا تجدر الإشارة إلى أن بعض السلف كانوا يخرجون إلى الأسواق في هذه الأيام العشر ، فيُكبرون ويُكبر الناس بتكبيرهم ، ومما يُستحب أن ترتفع الأصوات به التكبير وذكر اللّه تعالى سواءً عقب الصلوات ، أو في الأسواق والدور والطرقات ونحوها لما في ذلك من إحياءٍ لشعيرةٍ دينيةٍ مُستحبة . كما يُستحب الإكثار من الدعاء الصالح في هذه الأيام اغتناما لفضيلتها ، وطمعا في تحقق الإجابة فيها .

= الإكثار من صلاة النوافل لكونها من أفضل الطاعات والقُربات إلى اللّه تعالى إذ إن " النوافل تجبر ما نقص من الفرائض ، وهي من أسباب محبة اللّه لعبده وإجابة دعائه ، ومن أسباب رفع الدرجات ومحو السيئات وزيادة الحسنات " (٦) .

وقد حث النبي r على الإكثار منها قولاً وعملاً ، وهو ما يؤكده الحديث الذي صحّ عن ثوبان t أنه قال : سألت عن ذلك رسول اللّه r فقال : " **عليك بكثرة السجود للّه ؛ فإنك لا تسجد للّه سجدة إلا رفعك اللّه بها درجة ، وحطّ عنك بها خطيئة** " (رواه مسلم ، الحديث رقم ١٠٩٣ ، ص ٢٠٢).

= **ذبح الأضاحي** لأنها من العبادات المشروعة التي يتقرب بها المسلم إلى الله تعالى في يوم النحر أو خلال أيام التشريق ، عندما يذبح القُربان من الغنم أو البقر أو الإبل ، ثم يأكل من أضحيته ويُهدي ويتصدق ، وفي ذلك كثيرٌ من معاني البذل والتضحية والفداء ، والاقتداء بهدي النبوة المبارك .

= **الإكثار من الصدقات المادية والمعنوية** : لما فيها من التقرب إلى الله تعالى وابتغاء الأجر والثواب منه سبحانه عن طريق البذل والعطاء والإحسان للآخرين ، قال تعالى : **{ مَن ذا الذي يُقرِضُ اللهَ قرضا حَسَنا فيُضَاعِفَهُ لهُ ولَهُ أجرٌ كَرِيمٌ }** (سورة الحديد :الآية ١١) . ولما يترتب على ذلك من تأكيد الروابط الاجتماعية في المجتمع المسلم من خلال تفقد أحوال الفقراء والمساكين واليتامى والمحتاجين وسد حاجتهم . ثم لأن في الصدقة أجرا عظيما وإن كانت معنوية وغير مادية ؛ فقد ورد في الحديث الصحيح عن النبي r ، أنه قال :
" **على كل مُسلم صدقة** " . فقالوا : يا نبي الله ! فمن لم يجد ؟ قال : " **يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق** " . قالوا : فإن لم يجد ؟ قال : " **يُعين ذا الحاجة الملهوف** " . قالوا : فإن لم يجد ؟ قال : " **فليعمل بالمعروف وليُمسك عن الشر فإنها له صدقة** " (رواه البخاري ، الحديث رقم ١٤٤٥ ، ص ٢٣٣) .

= **الصيام** لكونه من أفضل العبادات الصالحة التي على المسلم أن يحرص عليها لعظيم فضلها وجزيل ثوابها وأجرها ، ولما صحَّ عن صيام النبي r في هذه الأيام المباركة ؛ فقد جاء عن هُنيدة بن خالد عن امرأته عن بعض أزواج النبي r ، قالت : " **كان رسول الله r يصوم تسعَ ذي الحجة ، ويوم عاشوراء ، وثلاثة أيام من كُلِ شهر ، أول اثنين من الشهر والخميس** " (رواه أبو داود ، الحديث رقم ٢٤٣٧ ، ص ٣٧٠) .

وليس هذا فحسب فالصيام من العبادات التي يتقرب بها العباد إلى الله تعالى والتي لها أجرٌ عظيم ؛ فقد صح عن أبي قتادة الأنصاري t ، أن رسول الله r ، سئل عن صوم يوم عرفة فقال : "**يُكفِّر السنة الماضية والباقية**" (رواه مسلم ، الحديث رقم ٢٧٤٧ ، ص ٤٧٧).

= **قيام الليل** لكونه من العبادات التي حث النبي r على المحافظة عليها من غير إيجاب ، ولأنها من العبادات التي تستثمر في المناسبات على وجه الخصوص كليالي شهر رمضان المبارك ، وليالي الأيام العشر و نحوها. ثم لأن قيام الليل من صفات عباد الرحمن الذين قال فيهم الحق سبحانه : **{ وَالذينَ يَبيتونَ لِرَبِّهِم سُجَّدا وَقِيَاما }** (سورة الفرقان :الآية ٦٤) . لأنهم يستثمرون ليلهم في التفرغ لعبادة الله تعالى مُصلين مُتهجدين ذاكرين مُستغفرين يسألون الله تعالى من فضله ، ويستعيذونه من عذابه .

= **أداء العمرة** لما لها من الأجر العظيم لاسيما في أشهر الحج حيث إن عُمرة النبي r كانت في أشهر الحج ، ولما ورد في الحث على الإكثار منها والمتابعة بينها فعن أبي هريرة t ، أن رسول الله r ، قال : " **العُمرة إلى العُمرة كفارة لما بينهما** " (رواه البُخاري ، الحديث رقم ١٧٧٣ ، ص ٢٨٥) .

= **زيارة المسجد النبوي في المدينة المنورة** وهي من الأعمال الصالحة المستحبة للمسلم لعظيم أجر الصلاة في المسجد النبوي الذي ورد أن الصلاة فيه خيرٌ من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، لما صح عن أبي هريرة t أنه قال : قال رسول الله r : " **صلاة في مسجدي هذا ، خيرٌ من ألف صلاةٍ في غيره من المساجد ؛ إلا المسجد الحرام** " (رواه مسلم ، الحديث رقم ٣٣٧٥ ، ص ٥٨٣) . ولما يترتب على زيارة المسلم للمسجد النبوي من فرصة زيارة قبر النبي r وصاحبيه رضي الله عنهما والسلام عليهم وما في ذلك من الأجر والثواب .

= **التوبة والإنابة إلى الله تعالى** إذ إن مما يُشرع في هذه الأيام المباركة أن يُسارع الإنسان إلى التوبة الصادقة وطلب المغفرة من الله تعالى ، وأن يُقلع عن الذنوب والمعاصي والآثام ، ويتوب إلى الله تعالى منها طمعا فيما عند الله سبحانه وتحقيقا لقوله تعالى : **{ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }** (سورة النور : من الآية ٣١) . ولأن التوبة الصادقة تعمل على تكفير السيئات ودخول الجنة بإذن الله تعالى لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له .

* بعض الدروس التربوية المستفادة من أحاديث فضل الأيام العشرة

(١) أن العمل الصالح في هذه الأيام العشرة من شهر ذي الحجة أفضل وأحب إلى الله تعالى منه في غيرها ، وفي ذلك تربية للنفس الإنسانية المسلمة على الاهتمام بهذه المناسبة السنوية التي لا تحصل في العام إلا مرة واحدة ، وضرورة اغتنامها في عمل الطاعات القولية والفعلية ، لما فيها من فرص التقرب إلى الله تعالى ، وتزويد النفس البشرية بالغذاء الروحي الذي يرفع من الجوانب المعنوية عند الإنسان ، فتعينه بذلك على مواجهة الحياة .

(٢) أن في حياة الإنسان المسلم بعض المناسبات التي عليه أن يتفاعل معها تفاعلا إيجابيا يمكن تحقيقه بتغيير نمط حياته ، وكسر روتينها المعتاد بما صلح من القول والعمل ، ومن هذه المناسبات السنوية هذه الأيام المباركات التي تتنوع فيها أنماط العبادة لتشمل مختلف الجوانب والأبعاد الإنسانية .

(٣) استمرارية تواصل الإنسان المسلم طيلة حياته مع خالقه العظيم من خلال أنواع العبادة المختلفة لتحقيق معناها الحق من خلال الطاعة الصادقة ، والامتثال الخالص . وفي هذا تأكيدٌ على أن حياة الإنسان المسلم كلها طاعة لله تعالى من المهد إلى اللحد ، وفي هذا الشأن يقول أحد الباحثين : " فالعبادة بمعناها النفسي التربوي في التربية الإسلامية فترة رجوعٍ سريعةٍ من حينٍ لآخر

إلى المصدر الروحي ليظل الفرد الإنساني على صلة دائمة بخالقه ، فهي خلوة نفسية قصيرة يتفقد فيها المرء نفسيته صفاءً وسلامة " [٧] .

(٤) شمولية العمل الصالح المتقرب به إلى الله ﷻ لكل ما يُقصد به وجه الله تعالى وابتغاء مرضاته ، سواء أكان ذلك قولا أم فعلا ، وهو ما يُشير إليه قوله ﷺ " العمل الصالح " ؛ ففي التعريف بأل الجنسية عمومية وعدم تخصيص ؛ وفي هذا تربية على الإكثار من الأعمال الصالحة ، كما أن فيه بُعدا تربويا لا ينبغي إغفاله يتمثل في أن تعدد العبادات وتنوعها يُغذي جميع جوانب النمو الرئيسة (الجسمية والروحية والعقلية) وما يتبعها من جوانب أخرى عند الإنسان المسلم .

(٥) حرص التربية الإسلامية على فتح باب التنافس في الطاعات حتى يُقبل كل إنسان على ما يستطيعه من عمل الخير كالعبادات المفروضة ، والطاعات المطلوبة من حجٍ وعمرةٍ ، وصلاةٍ وصيامٍ ، وصدقةٍ وذكرٍ ودعاءٍ ...إلخ . وفي ذلك توجيهٌ تربويٌ لإطلاق استعدادات الفرد وطاقاته لبلوغ غاية ما يصبو إليه من الفوائد والمنافع والغايات الأخروية المتمثلة في الفوز بالجنة ، والنجاة من النار .

(٦) تكريم الإسلام وتعظيمه لأحد أركان الإسلام العظيمة وهو الحج كنسكٍ عظيمٍ ذي مضامين تربوية عديدة تبرز في تجرد الفرد المسلم من أهوائه ودوافعه المادية ، وتخلصه من المظاهر الدنيوية ، وإشباعه للجانب الروحي الذي يتطلب تهيئة عامة ، وإعدادًا خاصا تنهض به الأعمال الصالحات التي أشاد بها المصطفى ﷺ في أحاديث مختلفة ، لما فيها من حُسن التمهيد لاستقبال أعمال الحج ، والدافع القوي لأدائها بشكلٍ يتلاءم ومنزلة الحج التي ـ لا شك ـ في أنها منزلة سامية عظيمة القدر .

(٧) تربية الإنسان المسلم على أهمية إحياء مختلف السُنن والشعائر الدينية المختلفة طيلة حياته ؛ لاسيما وأن باب العمل الصالح مفتوح لا يُغلق منذ أن يولد الإنسان وحتى يموت انطلاقا من توجيهات النبوة التي حثت على ذلك ودعت إليه .

وليس هذا فحسب ؛ فهذه الأيام العظيمة زاخرة بكثيرٍ من الدروس والمضامين التربوية ، التي علينا جميعا أن نُفيد منها في كل جزئية من جزئيات حياتنا ، وأن نستلهمها في كل شأن من شؤونها ، والله نسأل التوفيق والسداد ، والهداية والرشاد ، والحمد لله رب العباد .

@ @ @

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- أحمد بن حنبل الشيباني . (د . ت) . ***مُسند الإمام أحمد*** . مصر : مؤسسة قرطبة .
- سليمان بن الأشعث السجستاني . (د . ت) . ***سُنن أبي داود*** . حكم على أحاديثه وعلق عليه / محمد ناصر الدين الألباني . الرياض : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع .
- عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي . (١٤٠٧هـ) . ***سُنن الدارمي*** . تحقيق / فواز أحمد زمرلي و خالد السبع العلمي . بيروت : دار الكتاب العربي .
- علي بن أبي بكر الهيثمي . (١٤٠٧هـ) . ***مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*** . القاهرة ، بيروت : دار الريان للتراث و دار الكتاب العربي .
- محمد بن إسماعيل البخاري . (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) . ***صحيح البخاري*** . الرياض : دار السلام .
- محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي . (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) . ***صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان*** . تحقيق / شعيب الأرناؤوط . ط (٢) . بيروت : مؤسسة الرسالة .
- محمد بن عيسى بن سورة الترمذي . (د . ت) . ***سُنن الترمذي*** . تعليق العلامة المحدّث / محمد ناصر الدين الألباني . الرياض : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع .
- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري . (١٤١٩هـ / ١٩٩٨م) . ***صحيح مُسلم*** . الرياض : دار السلام للنشر والتوزيع .

= الهوامش

١ـ أبو الفداء إسماعيل بن كثير . (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) . ***تفسير القرآن العظيم*** . ط (٢) . دمشق : دار الخير ، ج (٣) ، ص (٢٣٩) .

٢ـ محمد بن جرير الطبري . (١٤١٥هـ / ١٩٩٤م) . ***تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن*** . هذبه وحققه بشار عواد معروف و عصام فارس الحرشاني . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ج (٧) ، ص (٥١) .

٣ـ أبو الفداء إسماعيل بن كثير . (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) . مرجع سابق ،ج (٤) ، ص (٥٣٥) .

٤ـ ابن قيم الجوزية . (د . ت) . ***بدائع الفوائد*** . المجلد (٢) . الجزء (٣) . بيروت : دار الكتاب العربي ، ص (١٦٢) .

٥ـ المرجع السابق ، ص (١٦٢) .

٦ـ عبد الله بن جار الله بن إبراهيم آل جار الله . (١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) . ***بهجة الناظرين فيما يُصلح الدنيا والدين*** . ط (٤) . جدة : مكتبة السوادي للتوزيع ، ص (١٨١) .

٧ـ عبد الحميد الهاشمي . (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) . ***الرسول العربي المربي*** . ط (٢) . الرياض : دار الهدى للنشر والتوزيع ، ص (٤٦٦) .

نحو توجيه إسلامي للعلوم والمعارف

=-=-=-=

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد :

تأتي الدعوة إلى التوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف استجابة لحاجة البشرية الملحة في وقتنا الحاضر إلى إعادة النظر في مختلف العلوم والمعارف المعاصرة من الناحية المنهجية التي تفتقر إلى التوجه الإسلامي الصحيح الذي لا بد منه ، ولا غنى عنه لتصحيح مسار هذه العلوم ، وتحقيق أهدافها المنشودة ، لاسيما وأن معظم المناهج التعليمية في عالمنا الإسلامي تعتمد اعتمادا كليا على معطيات ومسلمات الفكر الغربي المعاصر المستمد من الحضارة الغربية المعاصرة ؛ وهو فكرٌ حضاري تغلب عليه صفة " العلمنة " التي يشير إليها أحد الباحثين بقوله :

" لقد كان من الواضح عند التأمل والفحص ، في فكرنا التربوي المعاصر ، على صعيد النظر وعلى صعيد التطبيق ، أن (العلمنة) قد نفذت إلى صميم نظامنا التعليمي ، وأحدثت الشرخ الكبير الذي عزل علوم الدنيا عن علوم الدين ، وفتت – بالضرورة – الإطار القيمي ، والأخلاقي ، والروحي ، الذي كان يحكم ويرشد نشاطنا التعليمي كله " (١) .

وعلى الرغم من أن الحضارة الغربية المعاصرة قد أحرزت تقدما حضاريا لافتا للنظر في بعض الجوانب العلمية المعاصرة ، الأمر الذي ترتب عليه أن تكون رائدة في هذا الجانب وحده إلا أن هناك جوانب أخرى على قدرٍ كبيرٍ من الأهمية لم تتمكن حضارة الغرب من مجرد الاقتراب منها ؛ وهو ما يورده أحد الكتاب نقلا عن الدكتور / زغلول النجار في محاضرته التي ألقاها بتاريخ (١٣ / ١ / ١٤١٨هـ) في مؤسسة الملك فيصل الخيرية بعنوان : (**إشكالية التخلف العلمي في العالم العربي**) وفيها يقول :

" إن الغرب يتقدم علينا في مجالٍ واحدٍ من مجالات العلم (بالمفهوم الإسلامي للعلم الذي يظهر في هرم العلوم بالشكل المرفق) وهو مجال العلوم البحتة - أدنى مراتب العلم - ، بينما نحن المسلمين لنا قصب السبق في أرفع الدرجات من هذا الهرم وهو العقيدة الصحيحة ، وبذلك يُمكننا عندما تتوافر لدينا الوسائل الصحيحة ، والإرادة الصادقة ، والعمل الجاد الدؤوب ، أن نسبق الغرب ، ثم نأخذ بيده من ضيق الدنيا ، وعلومها المادية المدمرة ، إلى سعة الدنيا و الآخرة " [٢] .

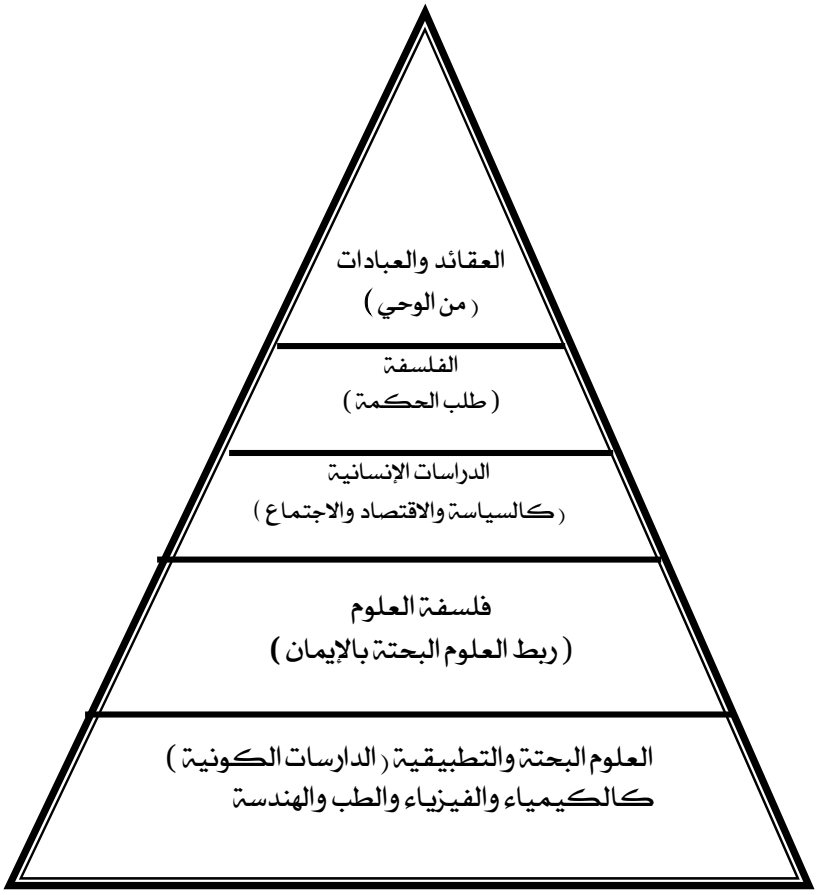

هرم العلوم والمعارف السماوية والبشرية

وهذا يعني أن الغاية المنشودة من عملية التوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف العلمية والأدبية والتربوية تتمثل في العمل على تخليصها و تنقيتها من مختلف التصورات المادية والإلحادية المنتشرة في الغرب ، والمبنية على وجهات النظر الفلسفية البشرية القاصرة ، واخضاعها بالكلية لتعاليم الدين الإسلامي

الحنيف ، وقيمه ، وضوابطه ، وتوجيهاته ، وآدابه النابعة من الأصول الثابتة ، والمصادر الإسلامية الأصيلة المتمثلة في (القرآن الكريم ، والسُنة النبوية المطهرة) ؛ بحيث تستمد منها مفاهيمها الأساسية ومنطلقاتها الرئيسة .

وهنا لا بُد من مراعاة أن تكون عملية التوجيه الإسلامي للعلوم مواكبة لظروف العصر ومتغيراته ؛ وملائمة لتحقيق مصالح البشرية المختلفة في كل زمانٍ ومكان ؛ الأمر الذي يفرض مسؤولية كُبرى على العلماء المسلمين في كل مكانٍ ، وتتمثل هذه المسؤولية في أن عليهم " أن يُعيدوا من جديد بناء المعرفة الإنسانية وفق التصور الإسلامي ، بحيث تُصبح نسقا عقليا وفكريا وعلميا مُتكاملا ، يدور حول الوحي ، وتنتظم جميع العلوم والمعارف التي وصل إليها الإنسان المعاصر . كل ذلك في ظل هداية الوحي وإرشاده " (٣) .

وهنا يأتي السؤال الذي يفرض نفسه قائلاً :

= ما العلوم والمعارف التي تحتاج إلى توجيهٍ إسلامي ؟

وهنا تأتي الاجابة لتوضح أن هناك تصنيفا مبدئيا للعلوم والمعارف بعامة يُشير إليه أحد كبار المفكرين المعاصرين بقوله :

" والتصنيف الموضوعي المبدأي للمعارف والعلوم يُقسِّم موضوعات مباحث هذه المعارف والعلوم إلى :

= **العلوم الشرعية** : مثل علوم العقيدة وأصولها ، والفقه وأصوله ، والقرآن وعلومه ، والحديث وعلومه ..إلخ .

= **العلوم الإنسانية والاجتماعية** : من مثل الاجتماع ، والاقتصاد ، والسياسة ، والنفس ، والفلسفة ، والأدب ، والفنون ..إلخ .

= **العلوم الطبيعية ، الدقيقة والمحايدة** : من مثل علوم الفيزياء ، والكيمياء ، والفلك ، وطبقات الأرض ، والهندسة ، والرياضيات ، .. إلخ ." (٤) .

وإذا ما سلمنا بصحة هذا التصنيف واعتمدناه فإن الحاجة إلى عملية توجيه العلوم والمعارف تختلف ـ ولا شك ـ باختلاف هذه الأقسام الثلاثة ؛ إذ إن العلوم الشرعية لا تحتاج إلى عملية التوجيه ؛ لأنها تشتمل في أصلها على المصدر والمقياس الذي سيتم من خلاله توجيه بقية العلوم والمعارف الأخرى .

في حين تأتي العلوم الإنسانية والاجتماعية وما في حكمها في حاجةٍ ماسةٍ وضروريةٍ إلى عملية التوجيه الإسلامي ؛ لأن موضوعها الرئيسي ومحور ارتكازها يتمثل في النفس الإنسانية على المستويين الفردي والاجتماعي . وهي شديدة التأثر بالظروف والعوامل الحياتية وما فيها من تجارب وخبراتٍ زمانيةٍ ومكانية ؛ إضافة إلى تأثرها بمختلف الفلسفات البشرية ، وما تشتمل عليه من الآراء والأفكار ووجهات النظر المتباينة ؛ فكان من الضروري أن تخضع هذه العلوم وما

في حكمها لعملية التوجيه الإسلامي للعلوم حتى تضبط اختلافها وتصحح مسارها .

أما العلوم الطبيعية فتأتي في المرتبة التالية للعلوم الإنسانية والاجتماعية إن لم تتساو معها في الحاجة إلى عملية التوجيه الإسلامي ؛ فعلى الرغم من أنها تعتمد في الأساس على مجموعة من الحقائق والقوانين العلمية التي لا نزاع فيها ، ولا خلاف حولها بين الناس ؛ إلا أنها في حاجة ماسة وضرورية وهامة لعملية التوجيه لتركز على ضبط هذه الحقائق العلمية ، وحُسن توظيفها ، وتسخيرها علميا وعمليا لما جاءت به تعاليم الدين الإسلامي الحنيف وخدمة للمصالح الإنسانية سواء على مستوى الفرد أو الجماعة ؛ حتى تكون - بإذن الله - نافعة ومفيدة لا ضارة ومدمرة .

= كيفية تحقيق عملية التوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف ؟

كثيرة هي المقترحات والتوصيات التي يمكن ان تسهم إسهاما فاعلاً في تحقيق عملية التوجيه الإسلامي للعلوم ، وبخاصة متى تم تنفيذها والعمل بموجبها . وكثيرون هم القادرون على الإسهام المباشر في هذه العملية الحيوية في مختلف المجالات والميادين سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات في مختلف مرافق ومؤسسات المجتمع المسلم التي تتكامل أدوارها معا لتحقيق عملية التوجيه المطلوبة ؛ إلا أن أبرز الجهات التي لا يُمكن إغفال دورها في هذا الشأن هي المؤسسات العلمية والتعليمية وبخاصة الجامعات ، والمعاهد ، ومراكز البحث العلمي التي يقع عليها الجزء الأكبر من هذه المهمة العظيمة ؛ لأنها تزخر بكثيرٍ من الطاقات البشرية الفاعلة ؛ المتمثلة في العُلماء ، والمفكرين ، والأساتذة ، والباحثين ، وطلبة العلم ، والدعاة وغيرهم من الغيورين الذين عليهم أن يحتسبوا هذا العمل الجليل عند الله تعالى ، وأن يحرصوا على توظيف طاقاتهم ، وإمكاناتهم ، ومواهبهم بشكلٍ فاعلٍ ومنظمٍ لخدمة هذه العملية بصورةٍ يمكن من خلالها تحقيق الأهداف المقصودة ، والغايات المنشودة ؛ لإعادة بناء الأمة المسلمة وتصحيح مسارها ؛ شريطة أن تكون جميع المؤسسات المجتمعية محكومة بإطار الشرع الحكيم ، ومنضبطة بضوابطه ، وملتزمة بتعاليمه سواءً على المستوى السياسي ، أو الاقتصادي ، أو الثقافي ، أو الإعلامي ، أو التعليمي ، أو غيرها . يقول أحد الباحثين في هذا الشأن :

" يجب توجيه طاقات الدارسين من علماء وأساتذة وطلاب للعمل نحو الإطار العلمي الإسلامي الجديد ، والغايات الحضارية الإسلامية الجديدة ، وعلى أساس من المنهجية العلمية وتنمية هذه العقلية ، وفرز الذخائر العلمية المتوافرة بين أيدينا من تراثنا وتراث الأمم من حولنا على ضوئها وضوء دلالاتها . مثل هذه الجهود هي السبيل العملي الوحيد الذي يُحقق القدرة والنضج والتمكن العلمي المنهجي الأصيل " (٥) .

والخلاصة أننا بحاجةٍ ماسةٍ إلى عملية التوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف حتى تتمكن الأمة بذلك من العودة إلى ذاتها ، وبناء هويتها المميزة التي تمكنها من الانطلاق مرة أخرى إلى بناء حضارة الأمة المسلمة التي وصفها الله تعالى بأنها خير أمةٍ أخرجت للناس . والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما فيه الخير والسداد ، والهداية والرشاد ، والحمد لله رب العباد.

=-=-=-=

= **الهوامش والمراجع** :

١) زغلول راغب النجار (١٤١٦هـ) . ***أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية*** . القاهرة : الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، ص (٦) .

٢) سعد كامل . (١٤١٨هـ) . هموم تربوية . ***مجلة المعرفة*** . العدد (٢٦) ، جمادى الأولى ، ص ص (١٨ ـ ١٩) .

٣) عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب . (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) . **التربية الإسلامية المعاصرة في مواجهة النظام العالمي الجديد** . القاهرة : دار الفكر العربي ، ص (١٧٠) .

٤) محمد عمارة . (١٤٢٢هـ) . إسلامية المعرفة .. ماذا تعني ؟ . ***مجلة القافلة*** . العدد (٨) ، المجلد (٥٠) ، شهر شعبان ، ص (٢) .

٥) عبد الحميد أحمد أبو سليمان .(١٤١٢هـ) . ***أزمة العقل المسلم*** . القاهرة : دار القارىء العربي ، ص (٢٢٥) .

المـــــــروءة

آدابـــــها و خـــــوارِمها

=======

الحمد للّه وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ؛ وبعد :

فقد جاء دين الإسلام الحنيف داعيا لكل فضيلة ، و ناهيا عن كل رذيلة ، لأنه دين التربية الإسلامية الصافية ، والفضائل الإنسانية النبيلة ، والآداب الكريمة ، والأخلاق الحسنة التي تسمو بصاحبها ، وترتقي به في مدارج الشرف والرفعة والمثالية البشرية .

ومن هذه الآداب الإسلامية الكريمة ، والأخلاق الإنسانية الفاضلة ما يُسمى (**المروءة**) التي كثرت تعاريفها ، وتعددت معانيها حتى اختلف في تحديد تعريفٍ موحّدٍ لها . فقد عُرِّفت بأنها : " استعمال كل خُلقٍ حسنٍ ، واجتناب كل خُلقٍ قبيح "[1] .

وجاء في تعريفها كما ورد عند بعض السلف وقد سُئل عن المروءة فأجاب : " ألا تعمل في السرِّ شيئا تستحي منه في العلانية "[2] .

كما ورد في تعريفٍ آخرٍ أن المروءة تعني :" اجتناب الرجل ما يشينه ، واجتناؤه [أي اكتسابه] ما يزينه "[3] .

وقيل إن المقصود بالمروءة : " أن يجتنب الرجل القبائح لقبحها ووخامة عاقبتها "[4] .

كما ورد عن أبي حاتم البُستي قوله :

" والمروءة عندي خصلتان : اجتنابُ ما يكره اللّه والمسلمون من الفِعالِ ، واستعمالُ ما يُحب اللّه والمسلمون من الخِصال " (٥) .

وهكذا يتبين لنا أن التعريفات المذكورة تتفق في الدلالة والمفهوم العام والقصد ، ولا تختلف إلا على مستوى التعبير .

وعلى كل حال فإن كثرة تعاريف المروءة واختلافها وعدم الاتفاق على تعريفٍ محددٍ لها دليلٌ واضحٌ على سمو منـزلتها ، وعظيم شأنها ؛ لاسيما وأنها خُلقٌ كريم ، وسلوكٌ قويم ، وفضيلةٌ من الفضائل التي لا تكتمل إنسانية الإنسان إلا بتوافرها في سلوكه القولي والفعلي ، نظرا لما تدل عليه من كمال الصفات ومحاسن الآداب ؛ حتى قيل في شأنها " المروءة اسمٌ جامعٌ للمحاسن كلّها " (٦) .

ومن هنا يمكن القول : إن المروءة تعني **جماع مكارم الأخلاق وكمال الأدب وحُسن السلوك ، وتمام الخُلق الإنساني الرفيع** . وصدق من قال :

إنـي لتطربُني الـخِلالُ كريمةً طربَ الغريبِ بأوبـةٍ وتلاقي
وتـهزُني ذكرى المروءةِ والندى بين الشمائل هـزّةَ المُشتاقِ

وليس هذا فحسب فهي خصلةٌ إنسانيةٌ رفيعةُ القدر لما يترتب على التحلي بها من جلالٍ وجمالٍ وكمالٍ في الخُلق ، وهي إلى جانب ذلك كله من خِصال الرجولة المحمودة ؛ فقد جاء في لسان العرب أن " المروءة : كَمالُ الرُجُولِيَّة " (٧) ، وهذا يعني أن من كانت مروءته كاملةً من الرجال فقد كمُلت رجولته و علا مقامه . قال الشاعر :

وإذا الفتى جمع المروءة والتقى وحوى مع الأدب الحياء فقد كمُل

كما أن من كانت مروءتها كاملةً من النساء فقد كمُلت أنوثتها ، وفي ذلك ما فيه من العون على صلاح الأمر بين الزوجين ، لما ورد أن مسلمةَ بن عبد الملك قال : " ما أعان على مروءةِ المرءِ كالمرأةِ الصالحة " (٨) .

وفي هذا المعنى يقول الشاعر :

إذا لم يكن في منـزل المرءِ حُرّةٌ مُدبّرةٌ ضاعت مروءةُ داره

آداب المروءة :

للمروءة آدابٌ كثيرة قل أن تجتمع في إنسان إلا أن يشاء اللّه تعالى ؛ ولذلك فإن منازل الناس فيها تتباين تبعا لما يُحصّله الإنسان من آدابها ومراتبها . وقد وردت جُملةٌ من الآداب التي يجب أن يتمتع بها صاحب المروءة ، ومنها :

- أن يكون ذا أناةٍ وتؤدةٍ ؛ فلا يبدو في حركاته اضطراب أو عجلة أو رعونة ، كأن يُكثر الالتفات في الطريق ، ويعجل في مشيه العجلة الخارجة عن حد الاعتدال ، وهكذا .
- أن يضبط نفسه عن هيجان الغضب أو دهشة الفرح ، وأن يقف موقف الاعتدال في حالي السراء والضراء .

- أن يتحلى بالصراحة والترفع عن المجاملة والنفاق ، فلا يُبدي لشخصٍ الصداقة وهو يحمل له العداوة ، أو يشهد له باستقامة السيرة وهو يراه منحرفا عن السبيل .
- ألاَ يفعل في الخفاء ما لو ظهر للناس لعُدَّ من سقطاته والمآخذ عليه ، وهو ما يُشير إليه قول الشاعر :

فسري كإعلاني وتلك خليقتي وظلمة ليلي مثل ضوء نهاري

- أن يتجنب تكليف زائريه وضيوفه ولو بعملٍ خفيف ؛ فقد ورد عن عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ قوله : " ليس من المروءة استخدام الضيف " .
- أن يُحسن الإصغاء لمن يُحدثه من الناس ، لأن في ذلك دلالة على اهتمامه به ، وارتياحه لمجالسته ، وأنسه بحديثه . وإلى هذا المعنى يُشير أبو تمام بقوله :

من لي بإنسانٍ إذا أغضبته ورضيت كان الحلم رد جوابه
وتراه يُصغي للحديث بقلبه وبسمعه ، ولعله أدرى به

- أن يكون حافظا لما يؤتمن عليه من أسرارٍ وأمور لا ينبغي أن تظهر لأحدٍ غير صاحبها . وفي هذا المعنى يقول المتنبي :

كفتك المروءة ما تتقي وأمنك الود ما تحذر

والمعنى أن صاحب المروءة لا يُفشي سرا وهو مؤتمنٌ عليه " [٩] " [بتصرف من الكاتب] .

كما أن من الآداب التي تضاف إلى ما سبق ذكره من آداب المروءة :

أن يترفع الإنسان بطوعه واختياره عن كل ما لا يليق به من الأقوال الباطلة والأفعال الشائنة والسلوكيات المنحرفة ، وأن يربأ بنفسه عن إتيانها أو الاتصاف بها ، قال الشاعر :

وحذارِ من سفهٍ يشينك وصفه إن السفاه بذي المروءة زاري

ويتبع لذلك ألا تخالف أقواله وأفعاله ما جرت عليه العادة من الأعراف والتقاليد الاجتماعية الحسنة ، المتوافقة مع تعاليم الشرع وتوجيهات الدين . وأن يحترم الآخرين بأن يتعامل معهم بما يُحب أن يتعاملوا معه ، وألاَ يُفضِل نفسه بشيءٍ عنهم ، وفي ذلك يقول الشاعر :

وإذا جلست وكان مثلكَ قائما فمن المروءة أن تقوم وإن أبى
وإذا اتكأت وكان مثلكَ جالسا فمن المروءة أن تزيلَ المتكا
وإذا ركبتَ وكان مثلكَ ماشيا فمن المروءة أن مشيتَ كما مشى

وانطلاقا من كون المروءة ترتبط بالأعراف الإنسانية الصحيحة والعادات المقبولة في المجتمع ؛ فإنه ينبغي مراعاة أن ما يكون مُخالفا للمروءة في بلدٍ أو مجتمع ما ، قد لا يكون مُخالفا لها في بلدٍ أو مجتمع آخر ، وخير مثالٍ على ذلك عادة كشف الرأس وعدم تغطيته للرجال التي تُعد مقبولة في بعض البلاد ، وغير مقبولةٍ في بلادٍ أخرى . وفي هذا الشأن يقول الشاطبي :

".. مثل كشف الرأس ، فإنه يختلف بحسب البقاع في الواقع ؛ فهو لذوي المروءات قبيحٌ في البلاد المشرقية وغير قبيحٍ في البلاد المغربية ، فالحكم الشرعي يختلف باختلاف ذلك ؛ فيكون عند أهل المشرق قادحا في العدالة وعند أهل المغرب غير قادح" (١٠) .

ولهذا فإن كل سلوكٍ يفعله الإنسان لا بد أن يخضع لميزان الشرع والعقل والأعراف والتقاليد الإنسانية الصحيحة ؛ وألاّ يُصادم النصوص الشرعية ، أو يكون مخالفا لما يستحسنه العقلاء ؛ فإن الشرع لم يأت بما يُخالف العقل أبدا ، ولذلك "سُئل بعض الحكماء عن الفرق بين العقل والمروءة ؟ فقال : العقل يأمرك بالأنفع ، والمروءة تأمرك بالأجمل" (١١) .

وهذا يعني أن على الإنسان العاقل أن يُحافظ على مروءته لما في ذلك من الجمال والكمال والجلال ، وإلى ذلك يُشير الشيخ محمد الخضر حسين (شيخ الجامع الأزهر) بقوله : " إذا نظرنا إلى تفاصيل الأخلاق والآداب التي تقوم المروءة على رعايتها وجدناها تبعث على إجلال صاحبها وامتلاء الأعين بمهابته . ومن الحِكم السائرة : (ذو المروءة يُكرم وإن كان معدما ، كالأسد يُهاب وإن كان رابضا ، ومن لا مروءة له ، يُهان وإن كان موسرا ، كالكلب يُهان وإن طوق وحُليّ بالذهب) " (١٢) .

خوارم المروءة :

يُقصد بالخوارم جمع خَرم ، وقد جاء في المعجم : " انْخَرَم الكتاب : نقص وذهب بعضه " (١٣) . وبذلك يكون المعنى المقصود من كلمة الخوارم **تلك النقائص التي تفقد الشيء تمامه** .

ولأن كثيرا من الناس قد اختل عندهم ميزان المروءة منذ أزمنةٍ سابقةٍ ، إلا أن الأمر زاد في هذا الزمان ، ولم يعد أكثرهم محافظا على كثيرٍ من آدابها الفاضلة وأخلاقها الكريمة ، وصفاتها الحميدة ؛ فإن هناك عددا من **خوارم المروءة وقوادحها** التي انتشرت بين الناس وأصبحت غير مستنكرةٍ عندهم لكثرة من يمارسونها ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم ـ حتى لقد صدق فينا قول الشاعر :

مررتُ على المروءةِ وهي تبكي ..... فقلتُ : علامَ تنتحبُ الفتاة ؟
فقالت : كيف لا أبكي وأهلي ..... جميعا دون خَلق الله ماتوا

وفيما يلي ذكرٌ لبعض خوارم المروءة التي تنتشر في مجتمعنا المعاصر سواءً أكانت قولية أم فعلية ، ومنها :

(١) **كثرة المزاح والمداعبة القولية والفعلية** لاسيما مع من لا يعرفهم الإنسان ؛ لما في ذلك من إسقاطٍ هيبته ، والإقلال من مكانته ، و لأن كثرة المزاح مدعاة لحصول الخصام ، وإثارة الأحقاد في النفوس . قال الشاعر :

فإياك إياك المزاح فإنه ... يُجري عليك الطفل والرَجل النذلا
ويُذهب ماء الوجه بعد بهائهِ ... ويورث بعد العزِ صاحبه ذلا

وهنا يجدر التنبه إلى أن هذا لا يعني أن يكون الإنسان عبوسا منقبضا ؛ فإن هذا مما يُذم و يُكره ، ولكن هدي الإسلام أن يكون الإنسان جادا في قوله وعمله وكل شأنه ، مع شيءٍ من البشاشة وطلاقة الوجه لما صح عن أبي ذر t أنه قال : قال لي النبي e : " لا تحقِرَنَّ من المعروف شيئا ، ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طلقٍ " . (مسلم ، الحديث رقم ٦٦٩٠ ، ص ١١٤٥) .

كما ورد عن عمر بن الخطاب t أنه كتب إلى عُماله :" امنعوا الناس المزاح ؛ فإنه يذهب بالمروءة ، ويوغر الصدور " (١٤) . وما ذلك إلا لما ينتج عن كثرة المزاح - في الغالب - من الاستخفاف وقلة الهيبة وذهاب الحشمة .

(٢) **أن يأكل الإنسان طعامًا أو يشرب شرابا وهو يمشي في الأسواق والطرقات** ، فهذا فعلٌ وطبعٌ يتنافى مع كمال المروءة ، ولا يتفق ومكارم الأخلاق ومحاسن الصفات . ولذلك فقد ورد أثرٌ عن ابن سيرين أنه قال : " ثلاثة ليست من المروءة : الأكل في الأسواق ، والإدّهان عند العطار ، والنظر في مرآة الحجام " (١٥) .

ويتبع لذلك عادة قضم ما يُسمى (الفصفص أو الحب وغيره من أنواع المكسرات المعروفة) أمام الناس ، ولاسيما في أماكن التجمعات والشوارع والأسواق والميادين العامة والمجالس لما في ذلك من مخالفةٍ للمروءة ، وعدم احترامٍ للآخرين في هذه الأماكن .

(٣) **عدم احترام الصغار للكبار سواء أكان ذلك في المجالس أم في المناسبات** ، وعدم توقير كبار السن و إنزالهم منازلهم ، حتى أصبحنا في وقتنا الحاضر نرى الصغار يُسابقون الكبار في كل شيء ، وقد يعارضونهم في الكلام ؛ أو يسخرون منهم والعياذ بالله ، وهذا أمرٌ محرمٌ ؛ لأن الله تعالى وهو رب العالمين يُكرم ويُجل ذي الشيبةٍ المسلم .فقد جاء عن أبي موسى الأشعري t ، أنه قال : قال رسول الله e : " إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم " (أبو داود ، ج ٤ ، الحديث رقم ٤٨٤٣ ، ص ٢٦١) .

وهنا تجدر الإشارة إلى أن على الآباء تربية أبنائهم على آداب المروءة وتعويدهم إياها منذ نعومة أظفارهم حتى لا تسبق إليهم الأخلاق والطباع السيئة فتحول بينهم وبين مكارم الأخلاق وجميل الطِباع قال الشاعر :

إذا المرءُ أعيتهُ المروءة ناشِئا فمطلبُها كهلا عليه عَسِيرُ

(٤) **أن يعتاد الإنسان التبول واقفا لغير حاجة** لاسيما في دورات المياه العامة ونحوها ؛ لأن الأولى أن يتبول الإنسان جالسا لما في ذلك من المنافع الصحية ، والاحتياط لعدم انتشار النجاسة أو التلوث بها . أما إذا دعت الحاجة إلى ذلك من مرضٍ ونحوه فلا بأس في ذلك إن شاء الله .

(٥) **الإكثار من تناول الطعام والإقبال عليه بنهم شديد** لاسيما عندما يكون الإنسان مدعوا إلى وليمةٍ أو نحو ذلك ؛ لما في ذلك من منافاةٍ للأدب ، ولما فيه من مخالفة لهدي الإسلام عند تناول الطعام " وقد ذكر ابن عبد البر عن علي بن أبي

طالبٍ t ، أنه كان إذا دُعي إلى طعام أكل شيئا قبل أن يأتيه ، ويقول : قبيحٌ بالرجل أن يُظهِر نُهمته في طعام غيره " (١٦) .

(٦) **التجشؤ بصوتٍ مرتفع** أو ما يُعرف بعادة " **التكَعُز** " أو " **التكرُع** " ، ويُقصد بذلك إخراج صوتٍ مرتفع ومزعجٍ من الفم في حضرة الناس ، وعادةً ما يكون التجشؤ نتيجةً للشِبع وكثرة الأكل . وهنا تجدر الإشارة إلى أن من أسوأ العادات وأكثرها أذى في الصلاة أن يتجشأ آكل الثوم ، أو البصل ، أو الكُراث في صف المصلين فيُزعجهم ويقطع خشوعهم وتخرج من فمه رائحةٌ كريهةٌ يؤذي بها عباد اللّه من الملائكة والمصلين ؛ فعن ابن عمر (رضي اللّه عنهما) ، قال : تجشأ رجلٌ عند النبي e ، فقال :

" كف عنا جُشاءك فإن أكثرهم شِبعا في الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة " (الترمذي ، ج ٤ ، الحديث رقم ٢٤٧٨ ، ص ٦٤٩) .

(٧) **أن يأتي الإنسان ببعض الأقوال أو الأفعال الهزلية التي تُضحك منه الناس** كأن يُقلد شخصا في كلامه ، أو حركاته ، أو نحو ذلك لغرض السخرية منه وإضحاك الآخرين عليه .ويعظم أمر هذا السلوك الخاطئ عندما يكون المقلَّد مبتلىً بذلك الشيء أو تلك الصفة . فعن بُهز بن حكيم قال : حدثني أبي عن جدي قال : سمعت النبي e يقول :

" ويلٌ للذي يُحدّث بالحديث ليُضحك به القوم فيكذب ، ويلٌ له ، ويلٌ له " (الترمذي ، ج ٤ ، الحديث رقم ٢٣١٥ ، ص ٥٥٧) .

(٨) **ارتداء بعض الناس وبخاصة من هم في سن الشباب للملابس الغريبة الوافدة** ، لما قد يكون فيها من التشبه بأهلها ، أو لأنها لا تليق بالإنسان المسلم العاقل المتزن لا سيما في المساجد ، والأسواق ، و المجالس ، والأماكن العامة . ومن هذه الملابس القبعات ، والأقمصة الملونة ، والملابس الشفافة ، والملابس غير الساترة ، والبنطلونات والسراويل القصيرة ، وغيرها من الملابس المضحكة المزرية التي وفدت إلينا من مجتمعاتٍ غير محافظة على القيم والأخلاق الإسلامية ، والتي قد تكثر عليها الرموز والشعارات والعبارات المخالفة لتعاليم ديننا الحنيف ، أو المخلة بالآداب ، والمنافية للأذواق السليمة .

(٩) **إضاعة الوقت بالجلوس لوقتٍ طويلٍ في المقاهي والاستراحات وما في حكمها لغير حاجةٍ مُلحة** . وكلنا نعلم أن المقاهي وما شابهها تُعد – في الغالب ـ من الأماكن التي يجتمع فيها أراذل الناس ورفاق السوء . وقد ورد عن معاوية بن أبي سفيان t أنه قال : " آفة المروءة إخوان السوء " (١٧) .

يُضاف إلى ذلك ما في ارتياد هذه الأماكن من هدرٍ للوقت وإضاعته فيما لا فائدة منه ولا نفع فيه ، لاسيما في هذا الزمان الذي كثر فيه الفساد والانحراف ؛ وهنا يجدر بنا أن نتذكر ما جاء عن أبي هريرة t ، أنه قال : قال رسول اللّه e :

" ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا اللّه فيه إلا كان عليهم ترة (أي حسرة وندامة) ، وما مشى أحدٌ ممشى لم يذكر اللّه فيه إلا كان عليه ترة ، وما أوى أحدٌ إلى فراشه ولم يذكر اللّه فيه إلا كان عليه ترة " (ابن حبان ، ج ٣ ، الحديث رقم ٨٥٣ ، ص ١٣٣) .

(١٠) **كشف العورات أمام الناس** ، وهذا أمرٌ محرَّمٌ ومخالفٌ للمروءة سواء أكان ذلك الكشف صادرا عن الرجال أم النساء ، ولاسيما في الاحتفالات والأعراس ، وعند ممارسة الألعاب الرياضية في الملاعب والمسابح والصالات المغلقة . وهنا تجدر الإشارة إلى أنه لا يجوز كشف الفخذ ، ولا الصدر ، ولا الظهر ، ولا الأكتاف ونحوها لما في ذلك من المخالفة الصريحة لأمر اللّه الذي أمر بالستر والعفاف والاحتشام . فعن زُرعة بن عبد الرحمن عن جده جُرهد أن النبي e ، مَر به وقد كشف فخذه فقال r :

" غطها فإنها عورة " (الترمذي ، ج ٥ ، الحديث رقم ٢٧٩٥ ، ص ١١٠) .

(١١) **قص شعر الرأس بأشكالٍ غريبة وغير مألوفة** ، وكُلنا يعلم أنه قد انتشرت في هذا الزمان بعض قصات الشعر المضحكة المبكية وخاصة بين الشباب والشابات ، التي يعلم اللّه أنها تشوه الشكل ، وتدل ـ دلالة واضحة ـ على فساد الذوق ، وحب التقليد ؛ كما تؤكد أن من يفعلها عامدا مُتعمدا ضعيف العقل ممسوخ الهوية ، لأنه مُقلدٌ للآخرين ممن لا دين لهم ولا مروءة ولا حياء .

(١٢) **كثرة الضحك والقهقهة بصوتٍ عالٍ** لاسيما في الأماكن العامة . ويتبع ذلك عادة **مضغ العلك (اللبان)** أمام الناس ، وفي الأسواق ، وأماكن التجمعات ؛ وهو أمرٌ لا يليق بالرجال على وجه الخصوص لما جاء عند بعض أهل العلم من السلف أنه قال : " ويُكره مضغ العِلك لأنه دناءة " [١٨] .

وليس هذا فحسب ؛ فقد ورد عن بعض السلف قولهم : " يُكره العِلكُ للرجل للتشبه بالنساء ، ما لم يكن للتداوي ، أو كان خاليا ببيته ونحوه لا في حضرة الناس " [١٩] .

(١٣) **أن يتحدث الإنسان إلى جُلسائه ببعض الأحاديث المخلة بالآداب** ، وأن يُخبرهم (صادقا أو كاذبا) ببعض القصص والمغامرات والأحداث الفاضحة بحجة الإمتاع و المؤانسة . وهذا أمرٌ مخالفٌ لما أمر اللّه به عباده من الستر وعدم نشر الفاحشة بين المسلمين .كما يتبع هذه المخالفة أن يتحدث الإنسان عن ما يقع بينه وبين امرأته من أمور خاصة ، أو وصف تفاصيل ذلك لما صح عن أبي سعيد الخدري t أنه قال : قال رسول اللّه e :

" إن من أشر الناس عند اللّه منـزلة يوم القيامة ، الرجل يُفضي إلى امرأته ، وتُفضي إليه ، ثم ينشر سرها " (مسلم ، الحديث رقم ٣٥٤٢ ، ص ٦٠٩) .

وما ذلك إلا لما في هذا الأمر من خيانةٍ للأمانة ومخالفةٍ للمروءة وآداب المسلم التي تمنعه من مجرد التعرض لهذا الأمر تصريحا أو تلميحا "وأما مجرد ذكر الوقاع فإذا لم يكن لحاجةٍ فذكره مكروه لأنه خلاف المروءة "[٢٠] .

(١٤) **الرقص والتصفيق والتمايل مع الأنغام المحرمة** ، وهز بعض أعضاء الجسم أو تحريكها وغير ذلك من الحركات الساقطة التي يؤديها البعض في الاحتفالات والأعراس ونحو ذلك مما لا يليق بالإنسان المسلم ذكرا كان أو أنثى . حتى إن بعض أهل العلم وصف الرقص والتصفيق والتمايل إذا صدر عن الرجال بأنه : " خِفَّة ورعونة مُشبهة لرعونة الإناث لا يفعلهما إلا أرعن "[٢١] .

(١٥) **امتهان الشحاذة و مدُّ اليد للناس من غير حاجة ضرورية تدعو إلى ذلك** . وما عُدَّ التسول مما يُخالف المروءة إلا لما في ذلك الفعل من احتمال الكذب ، والخداع ، والتحايل ؛ الأمر الذي يُسقط مروءة الإنسان ويُذهب ماء وجهه في الدنيا ولحمه في الآخرة ؛ فقد صحَّ عن حمزة بن عبد الله عن أبيه أن النبي e قال :

" لا تزالُ المسألة بأحدكم حتى يلقى اللهَ ، وليس في وجْهِهِ مُزْعَة لحمٍ " (مسلم ، الحديث رقم ٢٣٩٦ ، ص ٤١٨) . وفي هذا المعنى يقول الشاعر :

وما شيءٌ إذا فكّرت فيه بأذهب للمروءة والجمالِ
من الكذب الذي لا خير فيه وأبعد بالبهاء من الرجالِ

كما قال بعض أهل العلم : " إن من كان أكثر عمره سائلاً ، أو يَكْثر ذلك منه ؛ فينبغي أن تُرَدَّ شهادته لأن ذلك دناءة وسقوطُ مروءةٍ "[٢٢] .

و هنا تجدر الإشارة إلى أن كثيرا من الشحاذين و المتسولين الذين اتخذوا سؤال الناس مهنة لهم ، وممن يتنقلون بين المساجد والجوامع وهم يحملون الأوراق والصكوك والتقارير الطبية ليستشهدوا بها على فقرهم وحاجتهم الزائفة ، وقد يحمل بعضهم أطفالا صغارا أو معاقين ليستدروا بهم عطف الناس وشفقتهم ، أكثرهم من الكاذبين والمحتالين الذين يحتاجون إلى تأديبٍ وردعٍ من الجهات المعنية ؟ فالواجب على الناس عدم الانخداع بهم أو التعاطف معهم ؛ لاسيما أنهم يحدثون كثيرا من التشويش والفوضى في بيوت الله تعالى ، ويتسببون في قطع خشوع الناس ومنعهم من الانشغال بالتسبيح والذكر بعد الصلاة .

وبعد ؛ فهذه بعض آداب المروءة وخوارمها التي تكثر في مجتمعنا ، التي اتضح لنا أن من آدابها ما يوافق الشرع ولا يتعارض مع الأعراف والعادات و التقاليد الحسنة ، وأن من خوارمها ما يُخالف ذلك كله ؛ ولذلك فهو إما حرامٌ بيِّنٌ لا يجوز ولا يُباح ؛ وإما أنه ليس بحرامٍ إلا أنه غير مقبولٍ وغير مستحب . وهذا يعني أن هذه الصور المخالفة للمروءة تحتاج منّا إلى أن نعيد النظر فيها متى وجدت عندنا ، وفي كل الأفعال والأقوال والتصرفات التي لا يُقرها شرع ولا يقبلها عقل .

كما أن علينا أن نجتهد جميعا في تصحيح أخطائنا ، وأن نُجدد العهد مع الله سبحانه وتعالى على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القول والعمل ،

والالتزام بتعاليم الدين ، وتوجيهات سُنّة رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وآداب تربيتنا الإسلامية السامية . وما أجمل قول الشاعر :

تأدب غير مُتكِلٍ على حسبٍ ولا نسبِ

فإن مروءة الرجل الشريف بصالح الأدب

وختاماً : نسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعا لجميل القول ، وصالح العمل ، وأن يجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه ، وصلى الله وسلم على نبينا وحبيبنا محمدٍ ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

=-=-=-=-=

المراجع :

= صحيح البخاري . أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري . (١٤١٩هـ / ١٩٩٩م) . ط (٢) . الرياض : دار السلام للنشر والتوزيع .

= صحيح مسلم . **أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري . (١٤١٩هـ / ١٩٩٨م) . الرياض : دار السلام للنشر والتوزيع .**

= الجامع الصحيح (سُنن الترمذي) . **أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي . (د . ت) . تحقيق / أحمد محمد شاكر وآخرون . بيروت : دار إحياء التراث العربي .**

= سُنن أبي داود . **سليمان بن الأشعث . (د . ت) . تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد . (د . ن) .**

= الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان . **(١٤١٢هـ / ١٩٩١م) . تحقيق : شعيب الأرنؤوط . بيروت : مؤسسة الرسالة .**

الهوامش :

١- **المروءة وخوارمها** . أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان . (١٤١٥هـ / ١٩٩٥م) . الخبر : دار ابن عفان للنشر والتوزيع . ص (٥١) .

٢- **جامع العلوم والحِكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلِم** . عبد الرحمن بن شهاب الدين بن رجب الحنبلي . (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) . ط (٥) . القاهرة : دار الحديث . ص (٢٤٥) .

٣- **المروءة** . أبو بكر محمد بن خلف المرزبان . تحقيق / محمد خير رمضان يوسف . (١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م) . بيروت : دار ابن حزم . ص (١٣١) .

٤ـ **المروءة وخوارمها** . (مرجع سابق) ، ص (٣٨) .
٥ـ **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء** . أبو حاتم محمد بن حِبَّان البُستي . تحقيق محمد محيي الدين وآخرون . (١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) . بيروت : دار الكتب العلمية . ص (٢٣٢) .
٦ـ **المروءة** . (مرجع سابق) ، ص (١٣٤) .
٧ـ **لسان العرب** . أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور . (١٣٠٠هـ) . المجلد الأول . بيروت : دار صادر . ص (١٥٤) .
٨ـ **المروءة** . (مرجع سابق) ، ص (١٣٥) .
٩ـ **المروءة وخوارمها** . (مرجع سابق) ، ص ص (٣٦ ـ ٤٠) .
١٠ـ **الموافقات في أصول الأحكام** . أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي . تعليق الأستاذ السيد محمد الخضر حسين التونسي . (١٣٤١هـ) . الجزء (٢) ، المجلد (١) . دار الفكر . ص (١٩٨) .
١١ـ **أدب الدنيا والدين** . أبو الحسن الماوردي . (د . ت) . تحقيق وتعليق : مصطفى السَّقا . ط (٣) . الرياض : مكتبة الرياض الحديثة . ص (٣٠٦) .
١٢ـ **المروءة الغائبة** . محمد إبراهيم سليم . (١٩٨٦م) . القاهرة : مكتبة القرآن . ص (١٢٤) .
١٣ـ **المعجم الوجيز** . مجمع اللغة العربية . (د . ت) . بيروت : المركز العربي للثقافة والعلوم . ص (١٩٣) .
١٤ـ **المروءة وخوارمها** . (مرجع سابق) ، ص (٢٤١) .
١٥ـ **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء** . (مرجع سابق) ، ص (٢٣٣) .
١٦ـ **الآداب الشرعية والمِنَح المرعيّة** . محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي . تخريج وتعليق أبو معاذ أيمن عارف الدمشقي . (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) . ج ٣ . بيروت : دار الكتب العلمية . ص (١٤١) .
١٧ـ **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء** . (مرجع سابق) ، ص (٢٣٤) .
١٨ـ **الآداب الشرعية والمِنَح المرعيّة** . (مرجع سابق) ، ص (٢٥٩) .
١٩ـ **المروءة وخوارمها** . (مرجع سابق) ، ص (٨٠) .
٢٠ـ **سُبل السلام** . الحافظ ابن حجر العسقلاني . (١٤٠٨هـ) . ج (٤) . ط (٤) . الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . ص (٢٤١) .
٢١ـ **المروءة وخوارمها** . (مرجع سابق) ، ص (١٠٧) .
٢٢ـ **المروءة وخوارمها** . (مرجع سابق) ، ص (١١١) .

= / = / = / =

من المنافع العُظمى للحج

=_ =_ =

الحمد للّه رب العالمين ، وليّ الصالحين ، وخالق الناس أجمعين . والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ الأمين ، إمام المتقين ، وسيد الأولين والآخرين ، وعلى آله وصحبه والتابعين . وبعد ؛

يُعد الحج ركنًا ركينًا من أركان الإسلام ، وشعيرة عُظمى من شعائر الدين ، وهو آخر ما فرض من الشعائر والعبادات التي رسم اللّه تعالى حدودها وبيّن معالمها ، كما أنه عبادة تكاد تجمع فضل أركان الإسلام لما فيها من الشمولية ، وما لها من المنافع الكثيرة جدا في مختلف جوانب الحياة . وإذا كان الكثير من الناس يحصرون تلك المنافع في بعض الجوانب الدنيوية غالبًا ؛ فإن للحج منافع أخرى عظيمة جدا في الجانب الأخروي الذي هو غاية الغايات من حياة الإنسان .

وفيما يلي عرضٌ لبعض منافع الحج العُظمى التي تظهر في مُختلف الجوانب الدنيوية والأخروية ، ومنها على سبيل المثال ما يلي :

(١) **الفوز بدخول الجنة** مصداقا لما جاء في الحديث عن أبي هريرة t ، أن النبي r قال : " ***العُمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة*** " (رواه البخاري ، الحديث رقم ١٧٧٣ ، ص ٢٨٥) .

وهذه المنفعة من أعظم منافع الحج التي لا يُمكن أن يكون هناك أعظم منها ؛ فدخول الجنة عند المسلم أعظم المقاصد ومُنتهى الغايات التي يعمل طول حياته لأجلها ، ويسعى سعيا حثيثا للفوز بها .

(٢) **غفران الذنوب** فقد ورد في الحديث عن أبي هريرة t ، أنه قال : سمعت النبي r ، يقول : " ***من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه*** " (رواه البخاري ، الحديث رقم ١٥٢١ ، ص ٢٤٦) .

والمعنى أن من كان حجه مبرورًا غفر الله تعالى له ، ورجع من حجه بلا ذنوبٍ ولا خطايا ، وهذا بلا شك من أعظم المنافع والمكاسب إذ إن غفران الله تعالى لذنوب العبد يُرجعه طاهرا نقيا خاليا من الذنوب ؛ فيبدأ بعد ذلك حياة جديدة نقية بعيدة عن كل ما يؤثر فيها أو عليها من قولٍ أو عمل .

وإلى ذلك يُشير أحد الباحثين بقوله :

" **ومن الناحية النفسية الصرفة يشعُر المسلم بعد أداء فريضة الحج بأنه قد تطهر من آثامه وذنوبه ومعاصيه ، وتحرّر من مشاعر الإثم والذنب ، وهي من المشاعر التي تقودُ إلى المرض النفسي** " (١) .

(٣) **تحقيق التقوى وتعميق معناها في النفوس** من خلال تعظيم شعائر الله تعالى التي تتجسد بوضوح في أداء مناسك الحج وشعائره المختلفة مصداقا لقوله تعالى : **{ ذلك ومن يُعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب }** (سورة الحج : الآية رقم ٣٢) . وفي هذا الشأن يقول أحد الكُتاب :

" **وما من مسلم يُعظم شعائر الله ، وما من مسلم يخشى الله تبارك وتعالى ، وما من مسلم يُنفذ ما أمر الله به ويبتعد عما نهى الله عنه إلا رزقه الله حلاوة الورع ، وحسن الالتزام ، وطهارة الاستقامة .. وإذا كانت القلوب تحيا بتقوى وورع من الله جل جلاله ؛ فإنه تبعا لذلك تحيا الأجساد والجوارح هي الأخرى بالتقوى** " (٢) .

(٤) **تنمية الشعور الذاتي بالعزة والفخر للانتماء إلى هذه الأمة المسلمة العظيمة** من خلال المشاركة الفاعلة ميدانيا ووجدانيا في هذا الموسم الكبير وهذه المناسبة الإسلامية العظيمة التي يلتقي فيها أبناء الإسلام من مشارق الأرض ومغاربها في مكانٍ واحدٍ وزمانٍ واحدٍ ، لغايةٍ واحدةٍ يناجون ربهم ويُلبونه بلسانٍ واحدٍ ، ونداءٍ واحدٍ ، وهم يرتدون ملابس واحدة ، ويُمارسون عباداتٍ وشعائر واحدة لا فرق فيها بين شخصٍ وآخر . وهو ما يصفه أحد الكُتاب بقوله :

" **ومن خلال هذا التجمع الإسلامي الكبير الذي يُعتبر أكبر مؤتمرٍ في العالم ، يشعر المسلم بالعزة والفخر والانتماء إلى أمة عظيمة كانت وما زالت خير أمة أخرجت للناس** " (٣) .

(٥) **تحقيقُ مبدأ الأخوة الإيمانية بين أبناء المسلمين** عن طريق تكوين العلاقات الإيجابية بينهم في مختلف المجالات والميادين الحياتية التي يكون موسم الحج فرصة عظيمة يُمكن للحاج من خلالها أن يتعرَّف على إخوانه المسلمين القادمين من مشارق الأرض ومغاربها ، وأن يلتقي بهم ، ويجتمع

معهم في جوٍ إيماني زاخرٍ بأعظم معاني الأخوة الإيمانية الصادقة التي لا فرق فيها بين عربي ولا عجمي إلا بالتقوى . وإلى ذلك يُشير أحد الكُتاب بقوله :

" ولا يوجد مظهر من مظاهر الأخوة في أي دين إلا في الدين الإسلامي ، ويتعمق مفهوم الأخوة الإسلامية أكثر وأكثر في الحج ، فالجميع يأتون من أقاصي الكرة الأرضية ، تختلف لغاتهم ، وتختلف عاداتهم وتقاليدهم ، ولكنهم يجمعهم الأخوة في الله ، والأخوة في الدين ، والأخوة في العقيدة ، يستقبلون بيت الله الحرام فيطوفون ويصلون ويسعون . ويقفون في عرفات يؤدون جميعا مناسك الحج " (٤) .

(٦) **تربية الحاج التربية السلمية** حيث إن في قيام الإنسان بالحج إلى بيت الله الحرام ، وأدائه الصحيح لشعائره ومناسكه تربية سلمية مثالية على الكيفية التي ينبغي أن يعيش الإنسان بها حياته في أمنٍ وأمان ، وسِلمٍ وسلام مع من حوله من المخلوقات ، وما حوله من الكائنات . وهو ما أشار إليه أحد الكُتاب بقوله :

" وأحسب أن موسم الحج يُعد أنموذجا لحياة السلام التي يجب أن تعيشها البشرية مهما كثرت أعدادها وتباينت اتجاهاتها ؛ فانظر إلى تحريم حمل السلاح في الحج حيث جعل البيت مثابة للناس وأمنا . وحرَم صيد البر كله على المحرم ، وحتى حصى الرمي لزم أن يكون صغيرا في حجمه يُرمى بأصابع اليد دون شحذ وقوة ومُبالغة ... ، وحتى في الأقوال حرَم الجدال مخافة أن يستفحل الأمر و يجُر إلى الأذى والخصومة والشجار " (٥) .

وفي ذلك كله دروسٌ تربويةٌ عظيمة تشير في مجموعها إلى أن تشريعات وشعائر وآداب الحج تمثل نظاما تربويا سلميا يُفترض أن يتربى عليه أبناء الأمة المسلمة ، وأن تظهر آثاره وتطبيقاته في كل شأن من شؤون حياتهم ، وكل جزئيةٍ من جزئياتها .

(٧) **تعظيم الله سبحانه ، وإقامة ذكره Y** تحقيقا لقوله تعالى : **{ ويذكروا اسم الله في أيام معلومات }** (سورة الحج : الآية رقم ٢٨) .

وقوله تعالى : **{ واذكروا الله في أيام معدودات }** (سورة البقرة : الآية رقم ٢٠٣) . والمعنى أن جميع شعائر الحج ومناسكه لا تخرج في مجموعها عن كونها إقامة لذكر الله تعالى ، وهو ما يؤكده الحديث النبوي الشريف الذي ثبت عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) ، عن النبي e أنه قال :

" إنما جُعل رمي الجمار ، والسعيُ بين الصفا والمروة ، لإقامة ذكر الله " (رواه الترمذي ، الحديث رقم ٩٠٢ ، ص ٢١٨) .

وبذلك يمكن القول : إن كل مناسك الحج وشعائره المختلفة لا تخرج عن كونها ذكرا لله عز وجل سواء أكانت قولية أو عملية .

وختامًا ، فإن ما سبقت الإشارة إليه ليست سوى بعض منافع الحج العظمى التي تجعل من هذه العبادة العظيمة زاخرة بالكثير من المعاني والمضامين والدروس التربوية ، التي علينا جميعا أن نستلهمها ، وأن نحرص على الإفادة منها ، وأن نسعى لتأكيد معانيها السامية ، وتطبيقها في واقع حياتنا ؛ فالحج وحدة ، وتكافلٌ ، واتحادٌ ، وعزة ، وأخوة .

والله نسأل أن يوفقنا جميعًا لصالح القول والعمل والنية ، وأن يهدينا سبيل الرشاد ، والحمد لله رب العباد .

❖❖❖❖

*** المراجـــــع** :

= القرآن الكريم .

= محمد بن إسماعيل البخاري . (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) . ***صحيح البخاري*** . الرياض : دار السلام .

= محمد بن عيسى بن سورة الترمذي . (د . ت) . ***سُنن الترمذي*** . تعليق العلامة المحدّث / محمد ناصر الدين الألباني . الرياض : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع .

**** الهـــوامـــــش** :

١ – عبد الرحمن العيسوي . (١٩٨٦م) . ***الإسلام والعلاج النفسي*** . الإسكندرية : دار الفكر الجامعي ، ص (١٩٣) .

٢ – معالي عبد الحميد حموده . الحج نداءٌ إلى الوحدة والأخوة والتقوى . ***مجلة الحج*** . السنة (٥١) ، الجزء (٦) ، ذو الحجة ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م . ص (٥٦) .

٣ – عبد الرحمن العيسوي . (مرجع سابق) ، ص (١٩٣) .

٤ ـ معالي عبد الحميد حموده .(مرجع سابق) ، ص (٥٥) .

٥ ـ سالم بن عبد الله الشهري . الحج ودعوة للاستثمار الأمثل . ***المجلة العربية*** . العدد (٣٢٣) . السنة (٢٨) . ذو الحجة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م ، ص (٥٠) .

=/=/=/=

من دلائل الهدي التربوي في القرآن الكريم

=-=-=-=-=

الحمد لله عظيم التنزيل ، والهادي إلى سواء السبيل ، والصلاة والسلام على المعلم الجليل ، المؤيد بجبريل ، صاحب الغرة والتحجيل ، المذكور في التوراة والإنجيل ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم جيلا بعد جيل ، أما بعد :

فالقرآن الكريم كتاب الله المعجز ، وآياته كلها مُعجزة بلفظها ومعناها ، وهو المصدر الرئيس للتربية الإسلامية بعامة - كما يُجمع على ذلك العُلماء والكُتاب والباحثون في هذا المجال - ؛ فهو يشمل آياتٍ مُعجزة بلفظها ومعناها ؛ لكونها اشتملت على الكثير من المعاني والمضامين والمنطلقات والدروس التربوية التي يمكن استنباطها منها.

ومن هذه الآيات المعجزة تلك التي تحدثت عن موضوعٍ واحدٍ وجاءت في ثلاثة مواضع مختلفة من سور القرآن الكريم ، هي على الترتيب :

= **الآية الأولى** قوله تعالى : **{ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ }** (سورة البقرة : الآية رقم ١٥١) ..

= **الآية الثانية** قوله تعالى : **{ لقد من الله على المؤمنين إذ بَعَثَ فِيهِم رَسُولاً مِن أنفسهم يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ }** (آل عمران : ١٦٤) .

= **الآية الثالثة** قوله تعالى : **{ هُوَ الذي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو**

عَلَيهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } (الجمعة : ٢) .

وهذه الآيات الثلاث جاءت مُتقاربة في معناها الإجمالي الذي يُشير إلى المنهج التربوي الإسلامي الذي أنزله الخالق العظيم سبحانه على نبيه محمد بن عبد الله e ، والذي جاء مُطابقا لدعوة سيدنا إبراهيم الخليل u الذي أوردها القرآن الكريم في قوله تعالى : **{ ربنا وابعَث فِيهم رَسُولا مِّنهُمْ يَتلُو عَلَيهِمْ آيَاتِك وَيُزَكِّيهِمْ إنك أنت العزيز الحكيم }** (البقرة : ١٢٩) .

وهو ما أكّده الحديث الشريف عن العرباض بن سارية t ، أنه قال : سمعت رسول الله e يقول :

" إني عند الله مكتوبٌ بخاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدلٌ في طينته ، وسأخبركم بأول ذلك ، دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى ، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني أنه خرج منها نورٌ أضاءت لها منه قصور الشام " (ابن حبان ، مج ١٤ ، ص ٣١٣ ، الحديث رقم ٦٤٠٤) .

أما أبرز الملامح التربوية في مجموع هذه الآيات الكريمات فيمكن الإشارة إليها فيما يلي :

أولاً / تحديد مصدر إرسال هذا الرسول الكريم e الذي بعثه الله تعالى لهذه الأمة هاديا ومُبشرا ونذيرا ، وهو ما يتضح في قوله تعالى : **{ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ }** وقوله سبحانه : **{ إذ بَعَثَ فِيهم }** ، وقوله جل في علاه : **{ هُوَ الذي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ }** .

وجميع هذه الألفاظ القرآنية الكريمة تدل وتؤكد أن الله سبحانه وتعالى - وهو الرب العظيم والخالق الكريم - هو الذي أرسل محمدًا e ، ليكون معلمًا ومُربيًا للأمة .

ثانياً / تحديد هوية هذا الرسول المعلم الذي أرسله الحق جل في عُلاه إلى الأمة . وهو ما يُشير إليه قوله تعالى في وصف هذا الرسول الكريم : **{ رَسُولا مِّنكُمْ }** ، وقوله سبحانه : **{ رَسُولا مِن أنفسهم }** ، وقوله جل جلاله : **{ رَسُولا مِّنهُمْ }** .

وجميع هذه الألفاظ القرآنية تشير إلى أن هذا الرسول r إنسان مُرسلٌ من الله تعالى إلى أمته ، وأنه لا يختلف عنهم في الجانب الإنساني فليس ملكًا أو مخلوقا من جنسٍ آخر ؛ وفي هذا إشارة إلى أن هذه التربية التي جاء بها هذا النبي الكريم تربية إنسانية ، وصالحة تماما لطبيعة الجنس البشري ، وتتفق تماما مع فطرته الإنسانية التي فطر عليها وهو ما يُشير إليه أحد الكتاب بقوله : " لأن الرسول في حياته كإنسان يُوحى إليه من الله ، يُمثل إنسانية هذه التربية " (عبد الحميد الهاشمي ، ١٤٠٥هـ ، ص ٧) .

ثالثاً / بيّنت الآيات الكريمات وظيفة ومهمة هذا الرسول r ، وحددتها في وظائف ثلاثٍ جاءت على النحو التالي :

= **الوظيفة الأولى هي التلاوة :** ويُقصد بها أن يبدأ هذا الرسول r بقراءة القرآن الكريم على قومه قراءة مرتلة ليُبلِغهم ما فيه ويُعلمهم إياه ، ولتكون تلك التلاوة سبيلاً لإقامة الحُجة عليهم ، ووسيلة لحفظ كتابه وآياته ، إضافة إلى التعبد للّه تعالى بتلاوته . وهذا فيه بُعدٌ تربوي يُشير إلى أن " الهدف من تلاوة الآيات هو غرس الولاء للإسلام بين المتعلمين عقيدة وسلوكا ، وإبراز شواهد الألوهية والربوبية ، وغرس الاتجاهات الإيمانية " (نبيل السمالوطي ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٨٩) .

= **الوظيفة الثانية هي التزكية :** وهي أحد المرادفات التراثية التي استعملها بعض سلفنا الصالح للدلالة على معنى التربية الإسلامية الشامل والدال على محاسبة النفس والعناية بها ، والعمل على الارتقاء بجميع جوانبها (الروحية ، والجسمية ، والعقلية) إلى أعلى المراتب وأرفع الدرجات ، وقد ورد أن المقصود بتفسير قوله تعالى : **{ وَيُزَكِّيكُمْ }** " أي " يُطهر أخلاقكم ونفوسكم ، بتربيتها على الأخلاق الجميلة ، وتنزيهها عن الأخلاق الرذيلة " (عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، ١٤١٧هـ ، ص ٥٧) .

وهنا لا بُد من التأكيد على أن مصطلح التزكية يمتاز بشموليته لمعنى العملية التربوية الكاملة التي تُعنى بمختلف جوانب النفس البشرية ، وهو ما يؤكده أحد عُلماء السلف بقوله :

" يعني أنه يُزكّي قلوبهم ويُطهرها من أدناس الشرك والفجور والضلال ؛ فإن النفوس تزكو إذا طهُرت من ذلك كله ، ومن زكت نفسه فقد أفلح وربح ، كما قال تعالى : **{ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا }** (سورة الشمس : الآية رقم ٩) . وقال : **{ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى }** (سورة الأعلى : الآية رقم ١٤) " (ابن رجب الحنبلي ، ١٤٢١هـ ، ص ١٦٨) .

وهنا يمكن ملاحظة أن اللّه تعالى في هذه الآيات الثلاث قد قدّم التزكية على التعليم ، وفي ذلك ملمحٌ تربويٌ يتضح عندما نعلم أن العملية التربوية تسبق العملية التعليمية لكونها أشمل منها ، وأن حصول التزكية عند الإنسان يُسهم بدرجةٍ كبيرةٍ في تسهيل وتيسير وتمام عملية تعليمه .

= **الوظيفة الثالثة هي التعليم :** وهي وظيفة تتمم وترسخ عمليتي التلاوة والتزكية ، وبذلك يصبح التعليم المقصود فاعلاً كأحسن ما يكون ، وهو ما يُشير إليه أحد الباحثين بقوله :

" هذه الخطوة التربوية (أي التعليم) تترتب على الخطوتين السابقتين - تلاوة الآيات وتزكية النفس والعقل والجسم - ، وهنا يكون الإنسان مؤهلاً

لاستيعاب المعارف والمبادئ والتشريعات التي يشتمل عليها القرآن الكريم والسُنة المطهرة " (نبيل السمالوطي ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٩٥) .

ولأن عملية التعليم تحتاج إلى مصادر واضحة ومُحددة لها ؛ فقد تكفلت الآيات الكريمات ببيان هذه المصادر وتحديدها بدقة ، وحصرت هذه المصادر في مصدرين رئيسيين هما : (الكتاب والحكمة) ، ويُقصد بهما : القرآن الكريم و السُنة النبوية ؛ فهما المصدران الإلهيان اللذان نصّت عليهما الآيات الكريمات . لما فيهما من الوحي الإلهي الذي تكفل الله تعالى بحفظه في قوله سبحانه : **{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }** (سورة الحجر : ٩) .

وهنا تجدر الإشارة إلى أن هذه الآيات في مجموعها قد تضمنت إلماحًا تربويًا إلى الجانبين الرئيسين اللذين تقوم عليهما العملية التربوية بعامة ، وهما :

= **الجانب الفكري (النظري)** : ويتمثل في الجانب المصدري النظري الذي جاء وحيا من عند الله تعالى ، وعبّرت عنه الآيات بالتلاوة .

= **الجانب العملي (التطبيقي)** : ويتمثل في الجانب السلوكي العملي الذي يقوم به الإنسان ويُمارسه بنفسه ، والذي عبّرت عنه الآيات بالتزكية أولاً ثم التعليم ثانيًا .

والمعنى أن الموقف التعليمي يمكن أن يشتمل على التعبيرات القرآنية الثلاثة (التلاوة والتزكية والتعليم) وهو ما أشار إليه أحد الباحثين المعاصرين عند وصفه للتعبيرات القرآنية الثلاثة بقوله :

"نجد أنها تتضمن جانبي العقل والنقل ، أو جانبي الغيب الذي لا يُناقش ، وإنما هو محل الإيمان المطلق لأن العقل البشري قاصرٌ عن فهمه ؛ وهنا يُكتفى بتلاوة الآيات من المتعلم أو مُتلقي التربية وهذا هو الجانب الأول . أما الجانب الثاني فهو الذي يتمثل في تعبير " يُزكيهم " و " يُعلمهم " فكلاهما يُشير إلى عمليةٍ بشريةٍ تتعلق ببناء السلوك وتشكيله وتغييره ، وتفسح المجال أمام العقل والملاحظة والتجريب " (نبيل السمالوطي ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٩٨) .

وبعد ؛ فإذا كانت هذه الآيات القرآنية قد أشارت في مجموعها إلى ملامح المنهج التربوي الإسلامي الذي جاء به معلم الإنسانية وأستاذ البشرية النبي محمدٍ e من عند الخالق العظيم (جل في عُلاه) ؛ فإن القرآن الكريم زاخرٌ في آياته البينات بالكثير من الدروس والمضامين والمعاني والمبادئ والقيم التربوية التي تكفل للإنسانية جمعاء الخير والسعادة في كل زمانٍ وأي مكان متى تم استنباطها والعمل بها في واقع الحياة ، وخير مثالٍ على ذلك أن صحابة رسول الله r لم يكونوا يتجاوزون حفظ عشر آياتٍ من كتاب الله العظيم إلى غيرها حتى يطبقوا سلوكيًا ما حفظوه من تلك الآيات السابقة ، ولذلك جاء وصفهم بالجيل القرآني الفريد ، الذي كان بمثابة القرآن الحي الذي يمشي على الأرض ، وهو ما

نرجوه ونؤمله ونسعى لتحقيقه في واقعنا . والله تعالى نسأل أن يكتب لنا التوفيق والسداد ، والهداية والرشاد ، والحمد لله رب العباد .

# # #
# #
#

المراجع :

- القرآن الكريم .
- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري . (١٤١٩هـ / ١٩٩٩م) . ***صحيح البخاري*** . ط (٢) . الرياض : دار السلام للنشر والتوزيع .
- أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري . (١٤١٩هـ / ١٩٩٨م) . ***صحيح مسلم*** . الرياض : دار السلام للنشر والتوزيع .
- أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي . (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) . ***سُنن النسائي (المجتبى)*** . تحقيق / عبد الفتاح أبو غدة . ط (٢) . حلب : مكتب المطبوعات الإسلامية .
- أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي . (د . ت) . ***الجامع الصحيح (سُنن الترمذي)*** . تحقيق / أحمد محمد شاكر وآخرون . بيروت : دار إحياء التراث العربي .
- سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني . (د . ت) . ***سُنن أبي داود*** . تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد . بيروت : دار الفكر .
- مالك بن أنس . (د . ت) . ***الموطأ*** . تصحيح وتخريج وتعليق : محمد فؤاد عبد الباقي . القاهرة : دار الحديث .
- محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي . (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) . ***صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان*** . تحقيق / شعيب الأرناؤوط . ط (٢) . بيروت : مؤسسة الرسالة .
- محمد ناصر الدين الألباني . (١٤١٥هـ / ١٩٩٤م) . ***صحيح الأدب المفرد للإمام البُخاري*** . ط (٢) ، الجبيل : دار الصديق .

الهوامش :

١ ـ عبد الحميد الهاشمي . (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) . ***الرسول العربي المربي*** . ط (٢) . الرياض : دار الهدى للنشر والتوزيع ، ص (٧) .
٢ ـ نبيل السمالوطي . (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) . ***التنظيم المدرسي والتحديث التربوي (دراسة في اجتماعيات التربية الإسلامية)*** . ط (٢) . جدة : دار الشروق . ص (١٨٩) .
٣ ـ عبد الرحمن بن ناصر السعدي . (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) . ***تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*** . ط (٣) . بيروت : مؤسسة الرسالة . ص (٥٦) .
٤ ـ أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي الدمشقي . (١٤٢١هـ / ٢٠٠١م) . **لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف** . تحقيق / ياسين محمد السّواس . ط (٦) . دمشق / بيروت : دار ابن كثير . ص (١٦٨) .
٥ ـ نبيل السمالوطي . (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) . مرجع سابق . ص (١٩٥) .
٦ – المرجع السابق . ص (١٩٨) .

من صور الهدي التربوي النبوي

الوصية النبويَّة p لا تغضب i

=-=-=-=

الحمد للّه الحليم الكريم ، والصلاة والسلام على من وصفه ربه بالرؤوف الرحيم ، صاحب الخُلق العظيم ، والفضل العميم ، الذي نهانا عن الغضب وحذرنا منه ، وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد :

فالإسلام دينٌ معجزٌ كله ، إذ إن كتاب اللّه العظيم مُعجزٌ في سوره وآياته ، و رسوله الكريم e معجزٌ في قوله وعمله ، و سُنته الطاهرة معجزة في لفظها ومعناها ودلالاتها .

وفي هذه العُجالة طوافٌ سريعٌ ببعض الجوانب الإعجازية ـ التي أشار إليها الهدي النبوي المبارك ـ ذات العلاقة بموضوع الغضب كخلقٍ سلوكيٍ مذمومٍ جاء النهي عنه في أكثر من موضع من كتاب اللّه العظيم وسنة رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة و التسليم ؛ نظرا لما يترتب عليه من عظيم الخطر ، وكبير الضرر . فعن أبي هريرة t ، أن رجلاً قال للنبي e : أوصني ، قال :

" **لا تغضب** " ، **فردَّد مراراً ، قال : " لا تغضب** " (البخاري ، الحديث رقم ٦١١٦ ، ص ١٠٦٦) .

وهنا نرى أن النبي e وهو المعلم الأول والمربي العظيم للأمة قد أوصى من طلب منه الوصية بعدم الغضب ، ثم كرر النهي مرارا .

فما الغضب ؟ وما مضاره ؟ وما علاجه وفق منهج التربية النبوية التي جاء بها معلم الناس الخير ليكون لنا في ذلك منهجًا نهتدي به ، وسبيلا نتبعه ؟

تعريف الغضب

يُعرَّف الغضب بأنه : " ثورانٌ في النفس يحملها على الرغبة في البطش و الانتقام " (١) .

وقد يُعرَّف بأنه " حالة نفسية انفعالية تصيب الإنسان " (٢) .

وقيل فيه : " إن الغضب غريزي في الإنسان فلا يُذم و لا يمدح إلا من جهة آثاره ؛ فمن غضب وكظم غضبه وغيظه مُدح ، ومن غضب فثار وتصرف تصرفا شائنا نتيجة الغضب كان مذموما بقدر ما وقع منه من تصرف " (٣) .

والمعنى أن الغضب طبعٌ بشريٌ فطريٌ يؤدي بصاحبه إلى الثوران والانفعال ، وعدم القدرة على التحكم في أقواله وأفعاله غالبا .

مضار الغضب

للغضب كثيرٌ من المضار الكبيرة التي تمتد لتشمل جميع جوانب الحياة الفردية ، والاجتماعية ، والجسمية ، والنفسية ، والفكرية والتي تؤكد جميعها أن الغضب مفتاح الشرور لأنه يجمع الشر كله كما أشار إلى ذلك أحد عُلماء السلف بقوله : " إن الغضب جماع الشر ، وإن التحرُز (التوقي) منه جماع الخير " (٤) .

فمن **مضاره الفردية** أنه يُفقد الإنسان صوابه ، ويسلبه عقله ، ويدفعه إلى السب ، والشتم ، والسخرية ، والتلفظ بالألفاظ البذيئة وغير المؤدبة التي قد تسبب له الحسرة والندامة فيما بعد ، وقد تسقطه من أعين الناس ؛ إضافة إلى ما قد يقوم به الإنسان حين غضبه من التصرفات الطائشة البعيدة عن الحكمة ، والمجانبة للصواب . وهو ما يُشير إليه أحد كبار الكُتاب بقوله :

" الإنسان مخلوقٌ متميز ، فيه شيء من الملائكة ، و شيءٌ من الشياطين ، و شيءٌ من البهائم والوحوش ؛ فإذا عصف به الغضب ، أوتر أعصابه ، وألهب دمه ، وشد عضلاته ، فلم يعد له أمنية إلا أن يتمكن من خصمه فيعضه بأسنانه ، و يُنشب فيه أظفاره ، ويُطبق على عنقه بأصابعه ، فيخنقه خنقا ، ثم يدعسه دعسا ، غلبت عليه في هذه الحال الصفة الوحشية ، فلم يبق بينه وبين النمر والفهد كبير فرق " (٥) .

ومن **مضاره الاجتماعية** أنه " يولدُ الحقد في القلوب ، وإضمار السوء للناس ، وهذا ربما أدى إلى إيذاء المسلمين وهجرهم ، ومزيد الشماتة بهم عند المصيبة ، وهكذا تثور العداوة والبغضاء بين الأصدقاء ، وتنقطع الصلة بين الأقرباء ، فتفسد الحياة وتنهار المجتمعات " (٦) .

أما **مضاره الجسمية و النفسية** فكثيرة جدا حيث " ثبت علميا أن الغضب كصورةٍ من صور الانفعال النفسي يؤثر على قلب الشخص الذي يغضب تأثيرا يُماثل تمامًا تأثير العدْو أو الجري في إجهاده للقلب لا يستمر طويلاً ؛ لأن المرء يُمكن أن يتوقف عن الجري إن هو أراد ذلك " (٧) .

كما أشارت بعض الدراسات إلى أن للغضب العديد من المضار الجسمية على صحة وسلامة الإنسان التي منها التعرض لارتفاع ضغط الدم ، واحتمال الإصابة بالأزمات القلبية نتيجة التوتر الشديد الذي يُصاب به الإنسان الغاضب الذي يتعرض " لتغير لونه ، وطفح دمه ، وانتفاخ أوداجه ، وارتعاد أطرافه ، واضطراب حركته ، وتلجلج كلامه " (٨) .

وليس هذا فحسب ؛ فهناك بعض المضار الأخرى التي ربما أودت بحياة الإنسان حيث يمكن أن تؤدي " شدة الغضب والانفعال إلى سرعة خفقان القلب أو انفجار شرايين المخ ، أو الإصابة بالجلطة القلبية إذا كان الغاضب يشكو من ضعفٍ في القلب " (٩) .

وللغضب تأثيرات سيئة على **الجانب الفكري** عند الإنسان إذ إن " الانفعال الشديد يُعطل التفكير ، ويُصبح الإنسان غير قادرٍ على التفكير السليم أو إصدار القرارات السليمة ، وبذلك يفقد الإنسان أهم وظائفه التي يتميز بها وهي الاتزان العقلي " (١٠) .

وهذا معناه أن الإنسان الغاضب غير قادرٍ - في الغالب - على ضبط نفسه ، والتحكّم في تصرفاته نتيجة لقوة غضبه ، وشدة انفعاله ، التي تحول دون ضبطه لنفسه والتحكم في تصرفاته ، وتدعوه في الغالب إلى المواجهة أو الانتقام أو نحو ذلك من الأقوال أو الأفعال .

علاج الغضب

انطلاقا من كون الغضب طبعًا بشريًا فطريًا لا يُمكن دفعه ، فإن من عظمة الإسلام وكماله أن اعترفت التربية الإسلامية بذلك وبيَّنت طرق الوقاية منه ، وكيفية علاجه ، بطرقٍ مختلفة ، ووسائل متنوعة نُجملها في ما يلي :

أولا / محاولة البُعد عن دواعي الغضب وتجنب أسبابه ، وعدم التعرض لما يؤدي إليه من الأقوال والأفعال التي منها : " الكِبْرُ و التعالي والتفاخر على الناس ، والهزء و السُخرية بالآخرين ، وكثرة المزاح ولاسيما في غير حق ، والجدل و التدخل فيما لا يعني ، والحرص على فضول المال أو الجاه " (١١) .

ثانيا / الاستعاذة بالله العظيم من الشيطان الرجيم عملاً بقوله تعالى : **{ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }** (الأعراف :٢٠٠) . فالإنسان الغاضب عندما يستعيذ بالله تعالى من الشيطان إنما يعتصم بعظمة الله تعالى ويلوذ بها ، ويستحضرها في نفسه لما في ذلك من طردٍ للشيطان ودحره وإبطال مكره ، ومن ثم يسكن الغضب وتهدأ ثورته - بإذن

اللّه تعالى ـ . فعن سليمان بن صُرَد أنه قال : استب رجلان عند النبي e ، فجعل أحدهما تحمَّر عيناه ، وتنتفخ أوداجه . فقال رسول اللّه e : " **إني لأعرف كلمة لو قالها هذا لذهب عنه الذي يجد ، أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم** " (أبو داود ، ج ٤ ، الحديث رقم ٤٧٨١ ، ص ٢٤٩) .

ثالثا / التزام الصمت وعدم الكلام لما في ذلك من الحيلولة ـ بإذن اللّه ـ دون وقوع الغاضب في ما لا تحمد عُقباه من بذيء اللفظ وسيئ الكلام (سبا ، أو شتما ، أو سخرية ، أو نحو ذلك) . ولأن " من الناس من لا يسكت عند الغضب ، فهو ثورة دائمة ، وتغيظٌ يطبع على وجهه العُبوس . إذا مسَّه أحدٌ ارتعش كالمحموم ، وأنشأ يُرغي و يُزبد ، و يلعن ويطعن " (١٢) . فكان سكوت الغاضب و تركه للكلام علاجا مناسبا للغضب لما صحَّ عن ابن عباسٍ رضي اللّه عنهما أن النبي e قال : " إذا غضب أحدكم فليسكت " قالها ثلاثا . (أحمد ، ج ١ ، الحديث رقم ٢١٣٦ ، ص ٢٣٩) .

وهنا يلاحظ الهدي التربوي النبوي المتمثل في توجيهه e للغاضب بالتزام الصمت وعدم الكلام ، " وهذا دواءٌ عظيمٌ للغضب ؛ لأن الغضبان يصدر منه في حال غضبه من القول ما يندم عليه في حال زوال غضبه كثيرا من السباب وغيره ، مما يعظم ضرره ، فإذا سكت زال هذا الشر كله عنه " (١٣) .

رابعا / التصاق الإنسان الغاضب بالأرض لما جاء عن أبي سعيد الخُدري t مرفوعا أن النبي e قال : " ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم ، أما رأيتم إلى حُمرة عينيه وانتفاخ أوداجه ، فمن أحس بشيءٍ من ذلك فليلصق بالأرض " (الترمذي ، ج٤ ، الحديث رقم ٢١٩١ ، ص ٤٨٣) . ولعل المقصود بالالتصاق هنا بقاء الغاضب في مكانه وعدم الحركة كما يُشير إلى ذلك أحد الباحثين بقوله : " نلاحظ في هذا الحديث لونا من ألوان العلاج لثورة الغضب ، وصفه الرسول e ألا وهو اللصوق بالأرض ، والغرض منه تجميد كُلَّ حركةٍ يمكن أن ينجم عنها آثارٌ غضبية مادية " (١٤) .

خامسا / الانشغال بذكر اللّه تعالى لما في ذلك من حصول الطمأنينة والسكينة في النفوس مصداقا لقوله تعالى : **{ ألا بذكرِ اللهِ تطمئنُّ القلوبُ }** (الرعد : من الآية ٢٨) . كما إن في ذلك تذكيرًا للنفس الغاضبة بعظمة اللّه جل في عُلاه وقدرته ، وحثا على الخوف منه سبحانه لاسيما متى كان غضب الإنسان على من هو قادرٌ على عقابه والانتقام منه . وقد ورد أنه " وجد في التوراة مكتوبا : يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكُرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق " (١٥) .

سادسا / تغيير الحالة التي يكون عليها الغاضب إلى حالةٍ أخرى لأن في ذلك شغلاً له وانصرافا ـ ولو يسيرًا ـ عما هو فيه من غضب ؛ فعن أبي ذرٍ t ، أن رسول اللّه

e قال : " **إذا غضب أحدكم وهو قائمٌ فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع** " (أبو داود ، ج٤ ، الحديث رقم ٤٧٨٢ ، ص ٢٤٩) .

وهنا نلاحظ هديًا نبويًا تربويًا آخر فالغاضب القائم يكون في حالة تهيؤ واستعدادٍ لسرعة الانتقام أكثر مما لو كان جالسا أو مُضطجعا ؛ فجاء التوجيه النبوي الكريم داعيا إلى تغيير الحالة التي يكون عليها الغاضب منعا لما قد يتوقع من ردة الفعل المباشرة ، وعلاجا لها حيث " إن الجلوس أو الاضطجاع في حالة الغضب يؤديان إلى استرخاء البدن ، مما يُساعد على مقاومة التوتر الذي أحدثه الغضب ؛ ويؤدي ذلك في النهاية إلى تخفيف حدة انفعال الغاضب تدريجيا ، ثم التخلص منه نهائيا . كما أن الجلوس و الاضطجاع يقاومان ميل الإنسان إلى العدوان " (١٦) .

سابعا / المسارعة إلى الوضوء الذي له أثرٌ فاعلٌ في تهدئة ثورة الغضب التي تتسبب في فوران دم الإنسان الغاضب وارتفاع حرارة جسمه ، وبذلك يعود الإنسان إلى وضعه الطبيعي – بإذن الله - . فعن عطية بن عروة السعدي أنه قال : قال رسول الله e : " إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خُلق من النار ، وإنما تُطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ " (أبو داود ، ج ٤ ، الحديث رقم ٤٧٨٤ ، ص ٢٤٩) .

وقد عَلّق أحد المختصين على هذا الحديث بقوله : " ويُشير هذا الحديث إلى حقيقة طبية معروفة ؛ فالماء البارد يُهدئ من فورة الدم الناشئة عن الانفعال ، كما يُساعد على تخفيف حالة التوتر العضلي و العصبي " (١٧) .

ثامنا / كظم الغيظ بعدم إنفاذ الغضب ، ومحاولة إخماد جذوته لما في ذلك من الفضل العظيم الذي قال فيه سبحانه وتعالى : **{ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }** (آل عمران : من الآية ١٣٤) .

وصحّ عن ابن عباس (رضي الله عنهما) عن النبي e أنه قال : " **.. وما من جرعة أحبُّ إليَّ من جرعة غيظٍ يكظمها عبدٌ ؛ ما كظمها عبد لله إلا ملأ جوفه إيمانا** " (أحمد ، ج١ ، الحديث رقم ٣٠١٧ ، ص ٣٢٧) .

وجاء عن معاذ بن أنس أن النبي e قال : " **من كظم غيظا وهو يقدر على أن يُنفذه ، دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يُخيّره في أي الحور شاء** " (الترمذي ، ج ٤ ، الحديث رقم ٢٤٩٣ ، ص ٦٥٦) . وهذا فيه بُعدٌ تربويٌ يُشجع المسلم على التحكم في انفعالات النفس ، وعدم الاستجابة لها ، كما أن فيه تعويدا لها على قهر الغضب ، والعمل على عدم إنفاذه رغبة فيما أعدّه الله تعالى لمن ابتغى بذلك الأجر والثواب .

تاسعا / العمل على ترويض النفس وتربيتها بين الحين والآخر على التحلي بفضائل الأخلاق وكريم السجايا وحميد الصفات حتى تعتاد الحلم والصفح ، وتألف الصبر والتروي ، وتتربى على عدم الاندفاع والتسرع في الرد والانتقام

عند الغضب سواء بالقول أو الفعل . وهكذا مرة بعد مرة يُصبح ذلك طبعا عند الإنسان المسلم مقتديا فيه برسوله e الذي كان يسبق حلمه غضبه ، وعفوه عقوبته " فالمؤمن الذي يعلم فضل الحلم عند اللّه ، ويُلاحظ الثواب العظيم الذي أعدّه اللّه للحُلماء ، لا بُد أن يجد في نفسه اندفاعا قويا لاكتساب فضيلة الحلم ، ولو على سبيل التكلف ومُغالبة النفس ، وبعد التدرب خلال مدةٍ من الزمن قد تطول أو لا تطول فقد يُصبح الحلم سجية خُلقية مكتسبة ، ولو لم يكن في الأصل طبعا فطريا " (١٨) .

عاشرا / العمل على التحكم في الانفعالات وامتلاك النفس عند الغضب كنوع من قوة الشخصية التي حث عليها النبي e في ما صحّ عن أبي هريرة أن رسول اللّه e قال :

" ليس الشديدُ بالصُرَعَة ، إنُما الشديدُ الذي يملكُ نفسهُ عند الغَضَب " (البخاري ، ص ١٠٦٦ ، الحديث رقم ٦١١٤) . والمعنى المراد يتمثل في كون " القوة الحقيقية تكمن في امتلاك النفس والسيطرة عليها عند فوران الغضب " (١٩) .

وهذا فيه تربية للإنسان المسلم على مُجاهدة النفس ومُغالبتها على عدم الغضب " لأن تعلم التحكم في انفعال الغضب إنما يُقوي إرادة الإنسان على التحكم في جميع أهواء النفس وشهواتها ، ويُمكّن الإنسان في النهاية من أن يكون مالك نفسه وسيدها وليس عبدا لانفعالاته ، وأهوائه وشهواته " (٢٠) .

حادي عشر / صرف انتباه الإنسان الغاضب إلى ما يُبعده عن الغضب بوسيلة أو بأخرى حتى يحول ذلك دون استمرار ثورة الغضب . يقول أحد الباحثين :

" ومما يُساعد على التخلص من انفعال الغضب أيضا تغيير حالة الإنسان النفسية ، وتوجيه الانتباه إلى أمور أخرى بعيدا عن الأمر الذي أثار الغضب ، فيشتغل الإنسان بالتفكير فيه ، وينصرف عن التفكير في الأمر الذي أثار الغضب . وكذلك فإن مما يُساعد على التخلص من الانفعال القيام بمجهودٍ بدني عنيف لتبديد الطاقة البدنية والتوتر العضلي اللذين أثارهما الانفعال " (٢١) .

ثاني عشر / التفكر في ما ينتج عن الغضب من النتائج المؤسفة والعواقب الوخيمة التي تؤدي في الغالب إلى الندم والحسرة على ما كان من قولٍ جارحٍ ، أو عملٍ أهوجٍ ، لا يتفق مع ما تمتاز به شخصية الإنسان المسلم من جميل الصفات وكريم الخصال . يقول أحد العلماء : " والغضبان أول ما يجني على نفسه فتقبُح صورته ، و تتشنج أعصابه ، و يفحُش كلامه ، ويزيد على من ظلمه انتقامه ، و قل أن تراه إلا وهو شعلة من نارٍ يأكل بعضها بعضا " (٢٢) .

وبعد ؛ فهذا هو الغضب ، وتلك بعض آثاره ومضاره الخطيرة على الفرد والمجتمع ، وهذه طرق علاجه ووسائل الوقاية منه وفق ما بيّنه معلم البشرية

وأستاذ الإنسانية الأعظم محمد بن عبد الله e في تربيته النبوية التي اختصرت ذلك كله في وصية تربوية واحدة معجزة ، نطق بها الفم الشريف قائلاً لمن طلبها : " **لا تغضب** " ؛ فكانت بحق وصية نبوية تربوية موجزة في مبناها ، معجزة في معناها ، وهادية ومُربية في دلالتها ؛ فهي قد جمعت في كلمة واحدة بين خيري الدنيا والآخرة .

* * * * * * *

المراجع :

- القرآن الكريم .
- محمد بن إسماعيل البخاري . (١٤١٩هـ / ١٩٩٩م) . **صحيح البُخاري** . ط (٢) . الرياض : دار السلام .
- محمد بن عيسى الترمذي . (د . ت) . **سُنن الترمذي** . تحقيق / أحمد محمد شاكر وآخرون . بيروت : دار إحياء التراث .
- سليمان بن الأشعث السجستاني . (د . ت) . **سُنن أبي داود** . تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد . بيروت : دار الفكر .
- أحمد بن حنبل . (د . ت) . **مُسند الإمام أحمد بن حنبل** . (د . ن) . القاهرة : مؤسسة قرطبة .

الهوامش :

١) مصطفى البغا و محيي الدين مستو . (١٤١٠هـ) . **الوافي في شرح الأربعين النووية** ، ط (٧) ، المدينة المنورة : مكتبة دار التراث ، ص (١١٠) .

٢) بدر عبد الرازق الماص . (١٤١٨هـ) . **أخلاق المسلم وآدابه** ، الكويت : مكتبة الفلاح ، ص (٥٤) .

٣) حسن أيوب . (د . ت) . **السلوك الاجتماعي في الإسلام** ، لبنان : دار الندوة الجديدة ، ص (٧٨) .

٤) عبد الرحمن بن رجب الحنبلي . (١٣٩٣هـ) . **جامع العلوم والحكم** ، ط (٤) ، القاهرة : مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ص (١٣٥) .

٥) علي الطنطاوي . (١٤١٢هـ) . **تعريف عام بدين الإسلام** ، جدة : دار المنارة ، ص (١٧) .
٦) مصطفى البغا و محيي الدين مستو ، مرجع سابق ، ص (١١٣) .
٧) محمد كامل عبد الصمد . (١٤١٧هـ) . **الإعجاز العلمي في الإسلام (السُنة النبوية)** . ط (٤) ، القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ص (٣١) .
٨) مصطفى البغا و محيي الدين مستو ، مرجع سابق ، ص (١١٣) .
٩) عفيف عبد الفتاح طبّارة . (١٩٨٦م) . **الحكمة النبوية** . ط (٢) ، بيروت : دار العلم للملايين ، ص (٩٩) .
١٠) بدر عبد الرازق الماص ، مرجع سابق ، ص (٥٦) .
١١) مصطفى البغا و محيي الدين مستو ، مرجع سابق ، ص (١١٣) .
١٢) محمد الغزالي . (١٤٠٨هـ) . **خُلق المسلم** . ط (٧) ، دمشق : دار القلم ، ص (١١٨) .
١٣) عبد الرحمن بن رجب الحنبلي ، مرجع سابق ، ص (١٣٧) .
١٤) عبد الرحمن بن حسن حبنكه الميداني . (١٤٠٧هـ) . **الأخلاق الإسلامية وأسسها** . ط (٢) ، ج (٢) ، دمشق : دار القلم ، ص (٣٤٥) .
١٥) أبو الحسن الماوردي . (د . ت) . **أدب الدنيا والدين** . طنطا : دار الصحابة للتراث ، ص (٢٣١) .
١٦) محمد عثمان نجاتي . (١٤١٣هـ) . **الحديث النبوي و علم النفس** . ط (٢) ، القاهرة : دار الشروق ، ص (١٢٢) .
١٧) المرجع السابق ، ص (١٢٢) .
١٨) عبد الرحمن بن حسن حبنكه الميداني، مرجع سابق ، ص (٣٤٠) .
١٩) عفيف عبد الفتاح طبارة ، مرجع سابق ، ص (٩٩) .
٢٠) محمد عثمان نجاتي ، مرجع سابق ، ص (١٢٣) .
٢١) المرجع السابق ، ص (١٢٢) .
٢٢) محمد بن سالم البيحاني . (١٤٠٣هـ) . **إصلاح المجتمع** . بيروت : دار القلم ، ص (١٩٩) .

=-=-=-=-=

من الآثار التربوية لسُنن الفطرة في حياة المُسلم

= / = / = / =

الحمد للّه فاطر السموات والأرض ، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خير قدوةٍ وأسوة ، نبينا محمد بن عبد اللّه الأمين ، وعلى آله وصحبه الغر الميامين ، وعلى التابعين ، وتابع التابعين ، وعنا معهم بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين ؛ أما بعد ؛

فإن الإسلام دين الفطرة التي قال فيها الحق سبحانه : **{ فِطرَتَ اللهِ التي فطرَ النّاسَ عَلَيهَا }** (سورة الروم: من الآية ٣٠) . ولأن للفطرة كثيرا من المعاني التي لا يتسع المقام لبيانها ؛ فإنني سأقتصر على المعنى الذي يخُصُ موضوعنا وهو المعنى الذي يرى أن الفطرة تتمثل في طهارة المسلم الظاهرية والباطنية، فأما **طهارة الباطن** فهي متعلقة بالجانب الروحي من شخصية الإنسان ، وتعني تطهير النفس الإنسانية بمُختلف جوانبها من الشرك باللّه تعالى ، وهي بذلك طهارة تتطلب إخلاص العبادة للّه وحده لا شريك له، وأداء الأعمال الصالحة الخيّرة طاعة للّه تعالى ، وامتثالا لأوامره سبحانه ، وطلبا لمرضاته جل في عُلاه .

وأما **طهارة الظاهر** فهي مُتعلقة بجوانب الفطرة العملية التي تشتمل على كل ما له علاقة بجمال مظهر الإنسان المسلم وحُسن سمته ؛ لما في ذلك من ملاءمةٍ للفطرة السوية التي خلق اللّه الإنسان عليها في أحسن تقويم ، ولما فيها من

التزامٍ فعليٍ بهدي النبوة المبارك الذي جاءت به التربية الإسلامية واضحا جليا ؛ فعن ابن عباس (رضي اللّه عنهما) ، أن النبي r قال :

" الاقتصاد والسمت الصالح جزءٌ من خمسة وعشرين جزءا من النبوة " (رواه أحمد ، ج ١ ، ص ٢٩٦) .

ولأن الإسلام دين الفطرة الذي عَرَف أسرارها، وكشف خباياها، وسَبَر أغوارها، فقد قدَّم لها ما يُصلحها وما يصلح لها من تعاليم وسُنن وتوجيهاتٍ وآدابٍ اجتمعت كلها في التربية الإسلامية التي جاءت كالثوب المناسب لمختلف الأعضاء في الجسم ، والملائم لشتى الأبعاد في البدن . هذه التربية التي جاء بها مُعلم البشرية الأكبر ، وأستاذ الإنسانية الأعظم نبينا محمدٍ بن عبد اللّه r لهداية الناس وسعادتهم في كل زمانٍ ومكان . هذه التربية التي جاءت بكل جليلٍ وجميلٍ ، وكل نافع ومُفيد ؛ وليس أدل على ذلك من خصال الفطرة أو سُنن الفطرة التي جاءت لتشكل رافدا مهما من روافد التربية الجمالية في حياة الإنسان المسلم ، ولتعرض أنموذجا عمليا مثاليا لتربية المعلم العظيم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، ولتكفل تحقيق معنى التوازن الشامل الذي تفتقده معظم الفلسفات والنظريات التربوية البشرية التي عرفها الإنسان قديما وحاضرا .

= ما هي سُنن الفطرة ؟

يُقصد بسُنن الفطرة مجموعة الخصال التي فطر اللّه الناس عليها ، والتي يكمُل المرء بها حتى يكون على أفضل الصفات وأجمل الهيئات .

وقد ورد ذكر هذه في أحاديث نبوية مُتعددة ، منها :

(١) ما صحَّ عن أبي هريرة t : سمعت النبي r يقول :

" الفطرة خمسٌ : الختانُ ، والاستحدادُ ، وقصُّ الشارب ، وتقليم الأظفار ، ونتف الآباط " (رواه البخاري ، الحديث رقم ٥٨٩١ ، ص ١٠٣٦) .

(٢) ما صحَّ عن ابن عمرٍ (رضي اللّه عنهما) أن رسول اللّه r قال :

" من الفطرة : حلقُ العانة ، وتقليم الأظفار ، وقص الشارب " (رواه البخاري ، الحديث رقم ٥٨٩٠ ، ص ١٠٣٦) .

(٣) ما صحَّ عن أبي هريرة t عن النبي r قال :

" الفطرة خمس –أو خمسٌ من الفطرة ـ: الختانُ ، والاستحدادُ ، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط ، وقصُ الشارب " (رواه مسلم ، الحديث رقم ٥٩٧ ، ص ١٢٤) .

(٤) ما صحَ عن عائشة (رضي اللّه عنها) أنها قالت : قال رسول اللّه r :

" عشرٌ من الفطرة : قصُ الشارب ، وإعفاءُ اللحية ، والسِواك ، واستنشاقُ الماء ، وقصُ الأظفار، وغسل البراجم ، ونتفُ الإبط ، وحلقُ العانة ، وانتقاص الماء " (رواه مسلم ، الحديث رقم ٦٠٤ ، ص ١٢٥) .

(٥) ما صحَ عن عائشة (رضي اللّه عنها) أنها قالت : قال رسول اللّه r :

" عشرٌ من الفطرة : قصُ الشارب ، وإعفاءُ اللحية ، والسِواك ، والاستنشاقُ بالماء ، وقصُ الأظفار، وغسل البراجم ، ونتفُ الإبط ، وحلقُ العانة ، وانتقاص الماء " يعني الاستنجاء بالماء . قال زكريا : قال مصعب بن شيبة : ونسيت العاشرة ؛ إلا أن تكون المضمضة . (رواه أبو داود ، الحديث رقم ٥٣ ، ص ١٣) .

(٦) ما صحَ عن عمار بن ياسر t أن رسول اللّه r قال :

" إن من الفطرة : المضمضة ، والاستنشاق " (رواه أبو داود ، الحديث رقم ٥٤ ، ص ١٤) .

ومن مجموع هذه الأحاديث النبوية الشريفة وغيرها ، يتبيّن أن سُنن الفطرة ليست محصورة في عددٍ مُعينٍ ، وأنها أكثرُ من أن تحصر ، إلا أن من أبرزها كما جاء في بعض كتب أهل العلم ، ما يلي :

قص الشارب ، إعفاء اللحية ، السواك ، استنشاق الماء ، قص الأظفار ، غسل البراجم ، نتف الإبطين ، حلق العانة (الاستحداد) ، الاستنجاء (انتقاص الماء) ، المضمضة ، الختان ، عدم نتف الشيب ، خِضَابُ الشيب ، ترجيل الشعر .

وهنا يمكن ملاحظة أن جميع هذه السنن تعنى بمظهر الإنسان المسلم وجمال هيئته . وأنها تعمل في مجموعها على وضع الشخصية المسلمة في وضع متوازنٍ ، يُمثل الوسطية المطلوبة من الإنسان المسلم ؛ فلا إفراط ولا تفريط ، ولا غلو ولا تقصير . وليس هذا فحسب ؛ بل إن هذه السنن تمنح الإنسان تكريما إلهيا يأتي كأبدع ما يكون التكريم .

ويأتي هذا الموضوع ليُقدم من خلال سُنن الفِطرة أنموذجا فريدا للتربية الإسلامية النبوية ، تتحقق فيه كرامة الإنسان المسلم الذي أراد اللّه l أن يكون

مُستخلفا ومُكرَّما في الأرض ، ويتضح من خلاله توازن شخصيته المتميزة في جوانبها المختلفة ، كما يتحقق فيه أيضا هدف التربية النهائي المتمثل في استقامة الإنسان واستقامة الحياة من خلال تحقيق معنى العبودية الخالصة لله تعالى القائمة على السمع والطاعة ، والامتثال والاتباع ؛ وذلك أسمى ما تصبو إليه العملية التربوية عند بنائها لشخصية الإنسان المسلم .

= سُنن الفِطْرَة أُنموذج تربوي نبوي

من المسلمات أن كل تربية تحتاج إلى أنموذجٍ واضحٍ يُجسد معالمها، ويوضح تعاليمها بصورةٍ واقعيةٍ تنقل المجرد إلى محسوس ، وتترجم القول إلى عمل ، وتحول النظرية إلى تطبيق . ومن المؤكد أنه لا يوجد أعظم ولا أكمل ولا أفضل ولا أجمل من شخصية النبي محمد r لتكون أنموذجا حيا للتربية الإسلامية ، وقدوة حسنة للإنسان المسلم في كل زمان وأي مكان . ولا ريب فهو من اصطفاه ربه l وقال فيه : { **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** } (سورة الأحزاب : الآية رقم ٢١) .

وهو الذي بعثه الله Y ليكون معلما ومزكيا ومربيا لأمته ، فقال سبحانه وتعالى: { **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** } (سورة آل عمران : الآية رقم ١٦٤) .

وهو الذي مدحه ربه سبحانه بما منحه فقال له جل من قائلٍ في كلماتٍ موجزاتٍ مُعجزات : { **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** } (سورة القلم : الآية رقم ٤) ؛ فكان كُل خُلقٍ فاضلٍ ، وكُل سُلوكٍ سليمٍ متمثلا في حياة رسول الله r وشخصيته المتكاملة التي استوعبت كل جوانب الحياة الإنسانية . وبذلك جسَّد الرسول r منهج التربية الإسلامية السامية في الواقع العملي لحياته من خلال تطبيقه لسُنن الفطرة وتمسكه بها ، وتربية أصحابه الكرام عليها رضوان الله تعالى عليهم لتبقى منهجا تربويا نبويا إسلاميا للأمة حتى قيام الساعة .

من هنا فإن للمحافظة على هذه السنن أثرا تربويا عظيما يتمثل في أن التزام المسلم بها وتطبيقه لها في واقع حياته يدل على أمرين هما :

أ) التصديق بما ورد في سيرة الرسول r عن طريق التقليد والاتباع الصادق لهدي التربية النبوية في كافة الأعمال وجميع التصرفات والسلوكيات . وهذا بدوره كفيلٌ بتربية أفراد المجتمع المسلم على السمع والطاعة ، والامتثال

لأوامر الله تعالى وهدي الرسول r لاسيما أن في الناس نزعة فطرية لتقليد ومحاكاة من يحبون ، وليس هناك أحب عند المسلم من رسول الله r .

ب) اتخاذ القدوة الحسنة من المعلم الأول والمربي الأعظم r كشخصية فذةٍ متكاملةٍ متوازنة . وتتضح هذه القدوة في الاهتمام بكل ما له علاقة بالجانب الجسمي وما يحتاج إليه من النظافة العامة حينما يتفقد المسلم أظافره فيقلمها ، وفمه فينظفه ، وأسنانه فيسوِّكها ، وشاربه فيقصه ، وشعره فيُرجله ويُسرحه ، ولحيته فيُعفيها ، وإبطيه فينتفهما... إلخ .

وهذا بدوره ينفي الزعم الباطل الذي يقول : إن الإسلام لا يهتم بالجانب الجسمي للإنسان ، بل ويؤكد قضية التوازن في اهتمامات التربية الإسلامية ورعايتها لمختلف الجوانب الجسمية والروحية والعقلية ، فلا يستغرب بعد ذلك أن يُعرَف المسلم لأول وهلةٍ حين يُرى سمته ووقاره ، وهيئته الخارجية ، وشكله العام الذي يُميزه عن غيره من الناس ، ويجعله فريدا في شكله وهيئته ؛ لأن هذه السنن في مجموعها جعلت له شخصية مميزة ، ومظهرا خاصا ، وأنموذجا فريدا يقتدي فيه بإمام الطاهرين وقدوة الناس أجمعين r .

= سنن الفطرة والتربية الجسمية

غني عن القول إن التربية الإسلامية تُعنى بجسم الإنسان عناية كبيرة ومُستمرة ؛ لاسيما وأن الجسم بمثابة الوعاء الذي يحوي الذات الإنسانية بدليل أنه محلُ ثلاثٍ من الضروريات الخمس التي دعت الشريعة إلى احترامها و الحفاظ عليها ؛ فالجسم محل (النفس ، والعقل ، والنسل) .

وتتمثل عناية التربية الإسلامية بالجسم وسلامة تربيته في كثيرٍ من الجوانب التي يأتي من أبرزها الحث على التزام المسلم بسُنن الفطرة التي " يُطلب من المسلم التمسك بها؛ لتجعل مظهره إسلاميا كريما ، ورائحته حسنة مقبولة ، وهيئته وقورة حسنة مقبولة ، وليتميز عن غيره من أهل الكتاب الذين لا يغتسلون من جنابةٍ ، ولا يأبهون بالنظافة الحقيقية –وإن حافظوا على مظهرهم الاجتماعي-، فضلاً عما فيها من فوائد صحيةٍ واجتماعية ، وفوق ذلك كله التمسك بهدي رسول الله r "[1] .

والمعنى أن هذه السُنن ذات علاقةٍ وثيقةٍ بالجانب الجسمي للإنسان ، وتأتي المحافظة عليها دليلاً على العناية الكاملة بأعضاء الجسم من أعلى الرأس إلى أخمص القدمين ، وهو ما أشار إليه أحد الكُتاب بقوله :

" هذه السُنن تمتد مواطنها من أعلى هامة الإنسان إلى قدميه ، ففي أعلى الرأس تكون سنة ترجيل الشعر وتنظيفه وتطييبه ، وفي الأنف تكون سنة الاستنشاق ، وفي الفم تكون سنة السواك وسنة المضمضة ، وفي الإبطين تكون سنة نزع (نتف) الشعر ، وفي وسط الإنسان تكون سنة حلق العانة وسنة الختان وسنة الاستنجاء ، وفي الكفين تكون سنة غسل البراجم ، وسنة قص الأظافر ، وفي القدمين تكون سنة قص الأظافر منها أيضا " (٢) . ويُضاف إلى ذلك سنة قص الشارب وسنة إعفاء اللحية في الوجه .

وهنا يمكن الخلوص إلى أن عناية المسلم بسُنن الفطرة ومُحافظته عليها ؛ إنما هي عناية بسلامة جسمه ، ومُحافظة على صحته ، وحرصٌ على حيويته ونشاطه .

= سنن الفطرة والتربية الجمالية

تدعو التربية الإسلامية دائما ، وتحث على الاهتمام بالمظهر الشخصي والجمالي ، ليكون المسلم جميلا في مظهره ، متناسقًا في هندامه ، بعيدا عن الدروشة والقذارة والإهمال والعشوائية . قال تعالى : **{ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ }** (سورة الأعراف : الآية رقم ٣١) . فالله سبحانه وتعالى جميلٌ ويُحب الجمال كما جاء في الحديث الذي صحَّ عن ابن مسعود t ، أن رسول الله r ، قال : " **إن الله جميلٌ يُحب الجمال** " (رواه مسلم ، الحديث رقم ٢٦٥ ، ص ٥٤) .

وليس هذا فحسب ؛ بل إن في ذلك إشباعًا لحاسة الجمال في نفس المسلم و ذوقه ، فيتولد في أعماقه إيمانٌ شديدٌ بعظمة الخالق سبحانه الذي خلق فأحسن الخلق ، وصوّر فأحسن التصوير ؛ فكان من الملائم أن يُحافظ الإنسان على ذلك الحُسن والجمال ، وأن يحرص على عدم تشويهه ، أو إفساده ، أو العبث به .

كما أن من عناية الإسلام بالمظهر الحسن والهيئة الجميلة ؛ أمره للمسلم وحثه إياه للالتزام بسنن الفطرة وخصالها التي تُربي المسلم تربية جمالية تتمثل أبرز معالمها فيما يلي :

(١) **طهارة الجسم الحسية** : ويُقصد بها تطهير وتنظيف البدن بالوضوء خمس مراتٍ في اليوم والليلة ، والغُسل في كل أسبوعٍ مرة أو عندما تدعو الحاجة إلى ذلك ، وهي مما يحبه الله سبحانه وتعالى مصداقا لقوله تعالى : **{ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ }** (سورة التوبة : الآية رقم ١٠٨) . يُضاف إلى ذلك أنها من الأمور التي أمر بها نبينا محمدٍ r وحث عليها في سنته القولية والفعلية والتقريرية ، وهو ما يُشير إليه ابن الجوزي بقوله : " وقد كان النبي r أنظف الناس وأطيب الناس" (٣) .

(٢) **الطهارة المعنوية** : ويُقصد بها الإسهام في تطهير النفوس البشرية بجميع جوانبها المختلفة من كل ما لا يليق بها من الخصال والصفات والطباع . وبذلك يُغرس في النفوس طهارة وسلامة الضمير من كل ما يشينه عبادة وطاعة وامتثالا لأوامر اللّه سبحانه ، وإقتداءً بهدي رسوله r الذي هو قدوة تحتذى في هذا الشأن .

والمعنى أنه متى ما تحققت للمسلم تلك الطهارة بنوعيها ؛ انعكس أثرُها على المظهر الخارجي للإنسان المسلم الطاهر النظيف ، ومن ثم على المجتمع المسلم الذي جرت العادة أن يوصف أفراده بأنهم أصحاب النفوس الزكية ، والوجوه الحسنة ، والأيدي المتوضئة ، والسمت الصالح .

وهنا إشارة إلى أن هذه التربية الجمالية تؤدي بدورها إلى تطهير النية والعمل والسلوك ، فنظافة المظهر مدعاة لنظافة الجوهر ، ونظافة الشكل مدعاة لنظافة الضمير ، ونظافة الفرد مدعاة لنظافة المجتمع . وبذلك يتحقق بعدٌ تربويٌ إسلاميٌ عظيمٌ يتمثل في طهارة المجتمع المسلم طهارة معنوية من الفواحش والمعاصي والذنوب والآثام والا نحرافات السلوكية والأخلاقية ونحوها؛ فترتفع النفس المسلمة بتلك الطهارة من رجس الفوضى ، وحمأة الرذيلة ، وأوحال الوحشية إلى مستوىً رفيع من سمو الأخلاق وحُسن السلوك وجمال الطِباع . ومن ثم يتم تطهير الحياة الاجتماعية عامة حتى تصبح التربية شاملة للروح والعقل والجسم .

وليس هذا فحسب ؛ بل إن في هذه السنن والخصال مدعاة لتأليف القلوب ، ومدا لجسور المحبة والمودة ، وتوطيدا للصلة بين الإنسان المسلم وزوجه ، فتكون حياتهما مبنية على الرحمة والمودة ، وقائمة على السكن والراحة والقبول . وليس أجملُ ولا أروع من أن يكون كلا الزوجين مناسبا للآخر ، وملائما له ، مقبولا عنده في شكله وهيئته ؛ لأن ذلك مدعاة للائتلاف والرضا، وسببٌ مباشرٌ لقناعة كل منهما بالآخر . وهذا بدوره سيؤدي (بإذن اللّه تعالى) إلى استمرارية سعادتهما الزوجية .

= سنن الفطرة والتوازن في شخصية المسلم

مما لا شك فيه أن الكيان البشري يشتمل على ثلاثة جوانب رئيسة هي : **الجسم ، والعقل ، والروح** ؛ ولذلك فإن التربية الإسلامية تحرص على الربط بين هذه الجوانب برباطٍ واحدٍ لتجعل منها كيانا واحدا مترابطا ، وقد اختطت لذلك منهجا فريدا في إحاطته بجميع الجوانب الإنسانية ، فجاء هذا المنهج متوازنا مهتما بالذات الإنسانية في كل حالاتها . ولا ريب فهي تربية للإنسان كله جسمه وعقله ، روحه ووجدانه ، خلقه وسلوكه ، سرائه وضرائه ، شدته ورخائه ، أي أنها

تشمل كل الجوانب الشخصية دون قهرٍ أو كبتٍ أو فوضى أو تسيبٍ أو إفراطٍ أو تفريطٍ .

ولذلك جاءت شخصية الإنسان المسلم متوازنة سوية متكاملة ، لا يطغى فيها جانبٌ على آخر ، أو يُهمل جانبٌ على حساب الجانب الآخر . و هو ما نلمسه في هذه السنن التي إلى جانب كونها من المظاهر الدنيوية فهي عبادة يثاب عليها المرء ، وتكسبه الأجر والثواب متى قصد بها وجه اللّه سبحانه والاقتداء بهدي النبوة . وفي ذلك ربطٌ وثيقٌ بين الهدفين الديني والدنيوي للتربية الإسلامية . كما أن ذلك كفيلٌ بتحقيق خاصية التوازن في شخصية الإنسان المسلم حينما نرى أن التزامه بهذه السنن يجعل الجسم يحظى بحقه من العناية والرعاية والاهتمام فيما يخص المظهر الخارجي والشكل العام اللائق المقبول . فيدل ذلك على أن الإنسان المسلم ينعُم بعقلٍ راجحٍ ، وتفكير سديد ، ومدارك واسعة ، وفهم عميق لحقائق الأشياء وجوهرها . الأمر الذي يدفعه من ثم إلى السمو الروحي والرفعة الإنسانية والتعالي عن سفاسف الأمور وصغائرها وحطامها المادي الحقير .

كما أن تمسك المسلم بهذه السُنن يؤدي إلى ما يُسمى بالقبول الاجتماعي للفرد حين يقترب منه الناس ويطمئنون إليه ويعاملونه بكل حُبٍ وتقديرٍ واحترام ؛ لأنه يفرض ذلك عليهم بحسن مظهره وحسن تدبيره . لذلك كله نقول ونؤكد أن دين الإسلام هو الدين الوحيد القادر على ربط الإنسان بخالقه ، وإصلاح حاله في كل زمان ومكان حينما يمشي على الأرض بجسمه، ويتوجه بروحه إلى السماء ليستمد منها أنوار الهداية والمعرفة ؛ فيُحَكِّم عقله فيها ، ويختار منها ما يناسب حاله ، ويوافق قدراته ، ويلبي حاجاته ، فتسير حياته وفق منهج شرعيٍ مستقيمٍ ، وهدي تربويٍ قويم .

= سنن الفطرة دليل تكريم اللّه للإنسان المسلم

لما كان الدين الإسلامي هو المنهج الرباني المتكامل والمناسب للفطرة الإنسانية ، لأنه جاء من عند الخالق I لصياغة شخصية الإنسان صياغة متوازنة متكاملة ، لا ترفعه إلى مقام الإلوهية ، ولا تهبط به إلى درك الحيوانيةٍ أو البهيميةٍ ، وإنما لتجعل منه خير أنموذجٍ على الأرض ؛ فقد خصه I بتكريمٍ يليقُ به لكونه مُستخلفا في الأرض ليعمُرها وينشر منهج اللّه بين ربوعها ويقيم شريعته فيها . ثم لأنه I خلقه في أحسن تقويمٍ فكرَّمه بالصورة الحسنة والمظهر الجميل ، فكانت سنن الفطرة عاملاً مهما في إبراز هذا الجمال والمحافظة عليه . وليس هذا فحسب ، فقد خصه اللّه (جل في عُلاه) بنعمة العقل العظيمة ؛ فكان للجانب العقلي انعكاسٌ واضحٌ وجليٌ على جميع سلوكياته وتصرفاته

بصورةٍ تجعله يُحَكِّم ذلك العقل في كلِّ شأنه ، لاسيما وأن ذلك العقل يُعدُّ مناطَ التكريم الإلهي للإنسان .

وهنا يمكن القول : إن في محافظة المسلم على هذه الخصال والسنن النبوية نمطا وأنموذجًا تربويًا إسلاميًا يتناسب مع مسئوليات مهمة الاستخلاف التي تميز بها عن غيره في الأرض ، وما يترتب عليها من وظائف تعمير الكون ، وهي أمرٌ فُضِل به الإنسان عن غيره من المخلوقات والكائنات الحية الأخرى لقوله تعالى : **{ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا }** (سورة الإسراء : الآية رقم ٧٠) .

ففي قص الأظافر مثلا تمييزٌ للإنسان عن غيره من الكائنات ذات المخالب من كواسر وقوارض و نحوها . وفي حلق الشعر وقصه ونتفه تمييزٌ له عن غيره من المخلوقات ذات الشعور المرسلة والمسدلة على أجسادها بلا ترتيبٍ ولا انتظام . وفي السواك والمضمضة تمييزٌ له عن غيره من الكائنات التي لا تنظف أفواهها ، ولا تعتني بنظافة أسنانها.. وهكذا في كل سنةٍ من هذه السُنن التي لا شك في أن في مُحافظة الإنسان المسلم عليها رفعا لمستواه وتكريما لإنسانيته ؛ فكان عليه أن يحترم هذه المكانة التي أكرمه اللّه تعالى بها ، وأن يحرص على ألا يهبط بنفسه عن مستواها الإنساني الرفيع الذي خصها اللّه به عمن سواها.

والخُلاصة ، أن سنن الفطرة تمثل في مجموعها دليلاً حسيا ومعنويا على تكريم الخالق I للإنسان المسلم ، وأن هذا التكريم يمكن أن يتضح من خلال التأمل في الدلالتين التاليتين :

الأولى / أن تكريم اللّه سبحانه للإنسان نابعٌ في الأصل من كون هذا الإنسان يحمل منهج اللّه تعالى في الأرض .

الثانية / أن من السُنة الاقتداء برسول اللّه r ، وهو ما يمكن أن يحصل ويتحقق للمسلم متى حافظ على سُنن الفطرة وخصالها امتثالاً واتباعًا لها .

= سنن الفطرة والاستقامة الإيمانية

من المسلمات التي يتفق عليها الجميع أن التربية الإسلامية تسعى إلى تحقيق هدفٍ أسمى ، و غايةٍ عظمى تتمثل في تحقيق معنى استقامة النفس البشرية على نهج الإيمان الواضح الصحيح الذي لا تشوبه شائبة ، وذلك أمرٌ لا يُمكن تحقيقه إلا بممارسة شرائع الإسلام وإتباع تعاليمه ، والانقياد لأوامره والابتعاد عن نواهيه . فالاستقامة إذا مرحلة تأتي بعد الإيمان ؛ لأنها أثرٌ من آثاره

ونتيجة من نتائجه . قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا } (سورة فصلت : من الآية ٣٠) .

فواقعنا ينحصر في رفع شعار { رَبُّنَا اللَّهُ } ، وهذا تصورٌ إيمانيٌ نظري ، أما تطبيقه فيأتي في { اسْتَقَامُوا } ، والاستقامة هنا تعني تصديقًا عمليًا عن طريق التطبيق التام لمبادئ الإسلام بمقتضى الإيمان ؛ ولذا فهي تحتاج إلى القيام بأعمالٍ أخرى كثيرة لتخدم الإيمان في شتى مجالات الحياة وميادينها العلمية والعملية ، والقولية والفعلية .

كما صحَّ عن سفيان بن عبد الله الثقفي أنه قال : قلت : يا رسول الله ! قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك . قال r :

" **قل آمنت بالله ، ثم استقم** " (رواه مسلم ، الحديث رقم ١٥٩ ، ص ٣٩) .

والمعنى أن الاستقامة الإيمانية تتمثل ـ كما أشار إلى ذلك أحد الباحثين ـ في : " سلوك المسلم في حياته وجميع أحواله وفق تعاليم القرآن الكريم والسُنة النبوية " (٤) .

فهذه الاستقامة الإيمانية المنشودة لا تتحقق إلا بالفقه والعلم الشرعي ومعرفة أمور الدين معرفة صحيحة ، والإحاطة بتعاليمه وتوجيهاته وتطبيقها في واقع الحياة ليُصبح الإنسان المسلم بذلك قدوة صالحة وأسوة حسنة في مختلف المجالات والميادين الحياتية . ثم لأنه متى استقام قلب المسلم على معرفة الله سبحانه ، وعلى خشيته وتقواه في كل لحظة ، وفي كل صغيرةٍ وكبيرةٍ ؛ استقامت جوارحه كلها على الطاعة والامتثال . وهذا يؤهل من قام به والتزامه ليكون من حملة الرسالة الخالدة الذين قال الله سبحانه فيهم :

{ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ } (سورة فصلت : الآية رقم ٣٠) .

من هنا يمكن القول : إن من ثمرات التزام المسلم بسُنن الفطرة ما تحققه هذه السُنن من ملامح الاستقامة الإيمانية عنده حينما يُطبقها بشكلٍ مناسبٍ ومقبولٍ يعتمد في المقام الأول على الاعتدال والاتزان ، والإتباع لهدي النبي r ، دونما إفراطٍ أو تفريط . إضافة إلى تربية المسلم من خلالها على استمرارية المحافظة على هذه السنن المباركة والخصال الحميدة ؛ لما فيها من خيرٍ للفرد ، وصلاحٍ للمجتمع .

وختاما / أسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعا لصالح القول ، وجميل العمل ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

=-=-=-=

=-=-=

المراجـــــــع :

= القرآن الكريم .
= أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري . (١٤١٩هـ / ١٩٩٩م) . ***صحيح البخاري*** . ط (٢) . الرياض : دار السلام للنشر والتوزيع .
= أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري . (١٤١٩هـ / ١٩٩٨م) . ***صحيح مسلم*** . الرياض : دار السلام للنشر والتوزيع .
= أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني . (د . ت) . ***سنن أبي داود*** . تعليق / محمد ناصر الدين الألباني . الرياض : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع .
= أحمد بن حنبل . (د . ت) . ***مسند الإمام أحمد بن حنبل*** . (د . ن) . القاهرة : مؤسسة قرطبة .

الهوامش :

١= عبد الحليم عويس . (١٩٨٩م) . ***الرعاية الصحية في الإسلام*** . ضمن سلسلة كتاب الشرق الأوسط . جدة : الشركة السعودية للأبحاث والتسويق . ص ص (١١ - ١٢) .

٢- أحمد الشرباصي . (د . ت) . ***توجيه الرسول للحياة والأحياء*** . بيروت : دار الجيل . ص (١٣٠) .

٣ـ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي . (د . ت) . **صيد الخاطر** . جدة : مكتبة العلم . ص (٩٠) .
٤ـ عيد بن حجيج الفايدي . (١٤٢٤هـ ـ ١٤٢٥هـ) . الاستقامة في التربية الإسلامية وأثرها في تحصين الشباب . ***مجلة البحوث الإسلامية*** . العدد (٧١) . الرياض : رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء . ص (٢٦٧) .

=ـ=ـ=ـ=ـ=

من مظاهر عناية الإسلام بالبيئة

=ـ=ـ=ـ=

مقدمة :

الحمد لله الذي خلق فسوى ، والذي قدَّر فهدى ، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير ، نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد ؛

تُعد قضية حماية البيئة والعناية بها من القضايا العالمية المعاصرة التي تحظى باهتمام المسؤولين والمتخصصين في العلوم المختلفة ذات العلاقة بالبيئة ، لاسيما وأن البيئة تتعرض في هذا العصر للكثير من صور الفساد المتمثل في ظهور الكثير من المشكلات البيئية المتجددة مثل : التلوث البيئي بصوره وأنواعه المختلفة ، واستنزاف الموارد الطبيعية ، والتصحر ، وانجراف التربة ، والانحباس الحراري ، وغير ذلك من المشكلات الأخرى التي سببت وتسبب الكثير من المخاطر والمتاعب والإشكالات البيئية ، والتي تكشف بوضوح عن وجود خللٍ كبيرٍ في سلوك الإنسان وتصرفاته غير الرشيدة مع مكونات البيئة ؛ نتيجة لغياب الوعي البيئي ، وقلة الاهتمام بالتربية البيئية ، إضافة إلى عدم تفعيل المنظور الإسلامي للتربية البيئية الذي ينبغي أن يحكم ويضبط سلوكيات الإنسان وتصرفاته

تجاه مكونات البيئة وعناصرها المختلفة ؛ فالإسلام يدعو الإنسان إلى الاعتدال والتوازن ، ونبذ الإسراف ، وعدم الفساد في الأرض ، والحرص على إعمارها وإصلاحها ، واستثمار مواردها الطبيعية بتوازن إيجابي يلبي حاجاته ، ويوفر متطلباته الحياتية دونما إفراطٍ أو تفريط .

وانطلاقا من ذلك ، فقد حدد الإسلام للبشرية مسارها السلوكيَّ البيئيَّ الصحيح ، وبيَّن أن المحافظة على مقومات الحياة والبيئة يُعد مقصدا أساسيا من مقاصد الشريعة الإسلامية لأن هذه البيئة هي منزله ومستقره الدنيوي الذي عليه أن يمارس فيه مختلف أنشطته الحياتية ، وهو ما أشار إليه سيد قطب بقوله :

" فالمسلم يعرف ـ من تصوره الإسلامي ـ أن ((الإنسان)) قوة إيجابية فاعلة في هذه الأرض ، وأنه ليس عاملاً سلبيًا في نظامها ؛ فهو مخلوقٌ ابتداءً ليُستخلف فيها ، وهو مُستخلف فيها ليُحقق منهج اللّه في صورته الواقعية : ليُنشئ و يُعَمّر ، وليُغيّر ويُطوّر ، وليُصلح ويُنمّي . وهو معانٌ من اللّه سبحانه بجعل النواميس الكونية ، وطبيعة الكون الذي يعيش فيه مُعاونة له .. وهو مُعانٌ من اللّه كذلك بما وهبه من القوى والاستعدادات الذاتية " (١) .

ونظرا لتعاظم المشكلات البيئية ، وانتشار خطرها بصورةٍ تجاوزت الحدود الزمانية والمكانية حتى أصبحت خطرا حقيقيًا تعاني منه البشرية في كل مكان ؛ فقد حاولتُ في هذا الموضوع إبراز بعض مظاهر عناية الإسلام بالبيئية المتمثلة في ثمانية مظاهر ؛ ولاسيما أن المنظور الإسلامي يَعُدُ تعامل الإنسان الإيجابي مع البيئة عبادة شرعية يُثابُ عليها متى قصد بها وجه اللّه تعالى ، والامتثال لأوامر الدين وتعاليمه ، وليس هذا فحسب ؛ بل إن حُسن التعامل مع البيئة يُعَدُ نوعا من أنواع السلوك الحضاري الذي لا غنى عنه ، ولا بديل له حتى تتم مواجهة هذا الخطر المتزايد ، والحد من تعاظم مشكلاته ومخاطره .

موقف الدين الإسلامي من البيئة :

يُعد موقف الإسلام من البيئة موقفا إيجابيا ورائدا ؛ لأنه ينطلق في أساسه من المبدأ القرآني الخالد الذي ينهى الإنسان نهيا قاطعا في أي زمانٍ ومكان عن الإفساد في الأرض بأي صورةٍ من الصور ، و بأي شكلٍ من الأشكال ، وخير دليلٍ على ذلك قوله تعالى : **{ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }** (**سورة الأعراف : من الآية٨٥**) .

ولا تنحصر عناية الإسلام بالمكونات البيئية المختلفة في النهي عن الإفساد في الأرض ؛ بل يتعدى ذلك إلى الحث والترغيب في حُسن التعامل مع البيئة ، والحرص على استثمارها ، والإفادة من طاقاتها وخيراتها المختلفة ؛ مع ضرورة العناية بها والمحافظة على سلامتها ، وحمايتها من كل ما قد يضُر بها أو بمكوناتها ، أو يُخل بتوازنها البيئي . و ليس أدل على ذلك من تلك الآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة التي اعتبرت أن " حماية البيئة من التلوث

واجبٌ دينيٌ على كل مسلمٍ ومسلمة قبل أن يكون واجبا تشريعيا تصوره بعض المؤسسات أو الهيئات التي تهتم بشؤون البيئة ، وأن هذا الواجب يرتبط ارتباطا وثيقا بالعبادات التي يقوم بها المسلم "[٢] .

وفيما يلي **عرضٌ موجزٌ لأهم مظاهر عناية الدين الإسلامي ببعض المكونات البيئية الرئيسة التي تأخذ صورا عديدة ، وأشكالا مختلفة تتمثل في التالي :**

= **أولاً : مظاهر عناية الإسلام بالإنسان :**

تتمثل مظاهر عناية الإسلام بالإنسان في أوجه التكريم الكثيرة التي كرَّمه الله تعالى بها من النعم الظاهرة والباطنة التي تحدثت بها الآيات القرآنية الكريمة ، و دعت إليها الأحاديث النبوية الشريفة ؛ حتى كان الإنسان الصالح أهم عناصر البيئة وأكرمها على الإطلاق بدليل قوله تعالى : **{ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً }** (**سورة الإسراء :٧٠**) .

ولعل من أبرز ما فضِلَ به الإنسان أن سَخَّر له كل ما في الكون من مخلوقات " فقد جعل له السماء سقفا محفوظا ، وجعل له الأرض بساطا و فراشا ، و سخر الشمس تمده بالدفء والضياء ، وسخر القمر له نورا وحسبانا ، وجعل الليل سكنا وراحة ، وسخر الله له النهار للسعي والعمل ، وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات والزروع مختلفة الطعوم والأشكال والألوان ، وسخر له البحر يحمل سفنه التي تنقله من مكانٍ إلى آخر ، ويستخرج منه الطعام والحُلي ، وأجرى له الأنهار ليشرب منها والحيوان والزروع "[٣] .

وهذا يعني أن الإنسان يُعد أهم عناصر البيئة وأكرمها ، وأن مُقتضى هذه الأهمية وهذا التكريم يفرض أن تكون للإنسان السيادة على بقية العناصر والمخلوقات الأخرى .

ومن مظاهر عناية الإسلام بالإنسان أن كفل له ما يُعرف في العلوم الشرعية بالضرورات الخمس التي لا يمكن أن تستمر حياته بدونها وهي : **حفظ الدين ، وحفظ النفس ، وحفظ العقل ، وحفظ العرض ، وحفظ المال** . كما أكد الإسلام على أهمية وضرورة النظافة العامة في كل شأنٍ من شؤون الإنسان ، وفي كل جزئيةٍ من جزئيات حياته سواءً كانت النظافة في جسمه ، أو ملبسه ، أو مسكنه ، أو مكان عمله ، أو غير ذلك من الأماكن التي يوجد فيها ، وما ذلك إلا لما يترتب على النظافة العامة والخاصة في البيئة من المنافع الكثيرة ، والحماية من المخاطر الصحية التي عادة ما تنشأ عن تراكم الأوساخ وكثرة انتشارها في البيئة .

وقد جاءت الأحاديث النبوية الشريفة لتوضح مدى عناية الإسلام بالنظافة الجسمية ، والمكانية ، والفردية ، والاجتماعية ؛ فعن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت : قال رسول الله e :

" ***عشرٌ من الفطرة : قص الشارب ، وإعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء ، وقص الأظفار ، وغسل البراجم ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، وانتقاص الماء*** [يعني الاستنجاء] " . قال الراوي : " ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة " (رواه مسلم ، الحديث رقم ٦٠٤ ، ص ١٢٥) .

والمعنى أن هذا الحديث يدعو إلى المحافظة على النظافة الشخصية للإنسان بصورةٍ تجعل من صاحبها صحيحا ، قويا ، جميلاً في هيئته ، نظيفا في جسمه كله ، وقادرا على تحمل ما يُحيط به من الملوثات البيئية العادية .

وليس هذا فحسب ؛ فإن من صور عناية الإسلام بالإنسان أن دعت تعاليمه وتوجيهاته العظيمة إلى تربية الإنسان والمجتمع المسلم على جملةٍ من الآداب الفاضلة و الأخلاق الكريمة الكفيلة بالحفاظ على سلامة الإنسان ، والحد من انتشار بعض صور التلوث البيئي في المجتمع من حوله . فعن أبي سعيد الخُدري t قال :

" ***نهى رسول الله e عن اختناث الأسقية ، يعني أن تُكسَرَ أفواهُها فيُشرَبَ منها*** " (رواه البخاري ، الحديث رقم ٥٦٢٥ ، ص ٩٩٧) .

وعن أبي هريرة t أنه قال : " ***نهى النبي e أن يُشرَبَ من فِي فم [السِّقاء*** " (رواه البخاري ، الحديث رقم ٥٦٢٨ ، ص ٩٩٧) .

والمعنى أن النبي e نهى عن الشرب المباشر من أفواه القِرَب أو ما في حكمها من أواني حفظ المياه التي يُقلب رأسها ثم يُشرب منه بالفم مباشرة ، لما قد يترتب على ذلك من تلويثها بريق الشارب أو أنفاسه وبخاصة إذا كان مريضا ، وهذا فيه دعوة إلى استخدام الأواني الخاصة بالشرب كالأكواب و نحوها .

وعن أبي سعيد الخُدري t إن النبي e نهى عن النفخ في الشراب ، فقال رجلٌ : القذاة أراها في الإناء ؟ قال : ***أهرقها*** . قال : فإني لا أروى من نفسٍ واحد ؟ قال : ***فأبن*** [أي أبعد] ***القدح إذا عن فيك*** " (رواه الترمذي ، الحديث رقم ١٨٨٧ ، ج ٤ ، ص ٣٠٣) .

وعن أبي قتادة t قال : قال رسول الله e " ***إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء*** " (رواه البخاري ، الحديث رقم ٥٦٣٠ ، ص ٩٩٧) .

وهكذا نلاحظ أن هذه الأحاديث النبوية الكريمة قد جاءت ببعض التوجيهات الكفيلة بالمحافظة على سلامة وصحة الإنسان من العدوى الناتجة عن التلوث ، الذي قد يحصل بالعدوى عن طريق التنفس أو النفخ في الإناء الذي فيه الماء " نظرا لأن تردد أنفاس الشارب يُكسب الماء رائحة كريهة ، أو ربما يكون

حاملاً لبعض الميكروبات أو الفيروسات التي لا نراها بالعين المجردة فتتسرب إلى ماء الشرب وتنتقل العدوى للآخرين " (٤) .

ومما سبق يتضح أن عناية الإسلام بالإنسان تتمثل في مظاهر عديدة تنطلق من كونه مخلوقا مكرما ومتميزا عن غيره من المخلوقات ؛ الأمر الذي يجعله بمثابة القوة الإيجابية الفاعلة في الأرض ، فكان عليه أن يُحسن استثمار ما سخره الله تعالى له من الخيرات والنعم والموارد البيئية المختلفة ، وأن يضبط تصرفاته معها ، وأن يكون أمينا في تعامله معها دونما إفسادٍ أو إخلالٍ بنظامها الذي تعمل به وتسير عليه . وأن يحرص على نظافته ، ونظافة بيئته ، وأن يتحلى بالآداب الفاضلة والسلوكيات الحسنة التي تحد من انتشار بعض صور التلوث البيئي وتعمل على حماية البيئة منها .

= **ثانياً : مظاهر عناية الإسلام بالثروة الحيوانية :**

اعتنى الإسلام بالثروة الحيوانية عناية كبيرة لاسيما وأن الحيوانات تعد عنصرا هاما من عناصر النظام البيئي ؛ إضافة إلى كونها مصدرا رئيسا من مصادر غذاء الإنسان ، وضرورة من ضروريات الحياة اللازمة لأداء منافعه ، وقضاء مصالحه المختلفة . قال تعالى :

{ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ـ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ـ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلا بِشِقِّ الأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ ـ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ }(سورة النحل : ٥ ـ ٨) .

وقال سبحانه : **{ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ } (سورة النحل : ٨٠) .**

والمعنى أن بقاء العنصر الحيواني واستمرارية وجوده في البيئة يكفل – بإذن الله تعالى – تحقيق التوازن البيئي المطلوب بما يُقدمه من وظائف هامة ، وما يؤديه من مهام إيجابية ، حيث " تؤدي الطيور والحيوانات والقوارض عملاً هاما في حماية البيئة من التلوث ، أي أنها تقوم – فضلاً عن كونها من المكونات الأساسية للنظام البيئي - بوظيفة العوامل الوقائية للنظام ، إذ تخلص النباتات من الحشرات الضارة . وتشكّل هذه الحشرات أكثر من (٦٠ ٪) من غذاء الزواحف ؛ وقد رأينا أيضا أن الذئاب تفترس الحيوانات المريضة التي يُمكن أن تكون مصدرا للتلوث " (٥) .

كما جاءت تعاليم وتوجيهات الإسلام داعية للمحافظة على سلامة الطيور والحيوانات والشفقة عليها ، واحتساب الأجر في ذلك من الله تعالى ، فقد جاء عن ابن مسعود t أنه قال : " كنا مع رسول الله e في سفرٍ فانطلق لحاجته ،

فرأينا حُمَّرَة (نوع من الطير) معها فرخان ، فأخذنا فرخيها ، فجاءت الحُمَّرة ، فجعلت تفرش ، فجاء النبي e فقال :

" ***من فجعَ هذه بولدها ؟ ردوا ولدها إليها*** " (رواه أبو داود ، الحديث رقم ٢٦٧٥ ، ج ٣ ، ص ٥٥) .

وصحّ عن أبي هريرة t أن رسول الله e قال :

" ***بينا رجل يمشي فاشتد عليه العطش ، فنزل بئرا فشرب منها ، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث ، يأكل الثرى من العطش ، فقال : لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي ، فملأ خفّه ثم أمسكه بفيه ، ثم رقى فسقى الكلب ، فشكر الله له فغفر له*** " ، قالوا : يا رسول الله ، وإن لنا في البهائم أجرا ؟ قال e : "***في كُلّ كَبِد رطبة أجرٌ***" (رواه البخاري ، الحديث رقم ٢٣٦٣ ، ص ٣٨٠) .

وتأكيدا لعناية الإسلام بالثروة الحيوانية وعنايته بها كأحد أهم محتويات البيئة ومكوناتها الرئيسة ؛ فقد جاء التحذير النبوي من تعذيب الحيوانات و الطيور و نحوها ، والترهيب من تجويعها ، أو تحميلها ما لا تطيق من الأعمال ، والنهي الشديد عن التسبب في فنائها و هلاكها ، وفي هذا الشأن جاء عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه قال : كنا مع رسول الله e في سفرٍ فرأى قرية نملٍ قد حرقناها ، فقال :

" ***من حرق هذه ؟*** " ، قلنا : نحن . قال : " ***إنه لا ينبغي أن يُعذب بالنار إلا رب النار***" (رواه أبو داود ، الحديث رقم ٢٦٧٥ ، ج ٣ ، ص ٥٥) .

وجاء عن عمرو بن الشريد قال : سمعت الشريد يقول : سمعت رسول الله e يقول :

" *من قتل عصفورا عبثا عجّ إلى الله عز وجل يوم القيامة ، يقول : يا رب ، إن فلانا قتلني عبثا ، ولم يقتلني لمنفعة* " **(رواه النسائي ، الحديث رقم ٤٤٤٦ ، ج ٧ ، ص ٢٣٩) .**

كما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) أن رسول الله e قال :

" *من قتل عصفورا فما فوقها بغير حقها سأله الله عز وجل عن قتله ، قيل : يا رسول الله ، ما حقها ؟ قال : أن يذبحها فيأكلها ، ولا يقطع رأسها و يرمي بها* " **(رواه النسائي ، الحديث رقم ٤٣٤٩ ، ج ٧ ، ص ٢٠٦) .**

والمعنى أن تعاليم الدين الإسلامي قد نهت عن العبث بأي عنصرٍ من عناصر البيئة ، كما نهت عن ذبح الحيوانات والطيور وما في حكمها لغير حاجةٍ لازمة" وهذا النهي هو قمة التوازن ، لأن له طرفين ؛ ففي الطرف الأول يُسمح للإنسان بالانتفاع بأكل الحيوان لسد حاجاته الضرورية التي تحفظ حياته ، بحسبان أنه أكرم عناصر البيئة . وفي الطرف الثاني يُنهى عن تجاوز ذلك إلى ذبح الحيوان

لمجرد الإفساد ، أو لتحقيق شهوة التسلط ؛ لأن هذا الإفساد سيُلحق ضررا بالغا بعناصر [أخرى] في البيئة وبالإنسان نفسه على المدى البعيد " (٦) .

وهنا لا بُد من الإشارة إلى ضرورة العمل الجاد على الوقاية من مختلف الأوبئة والأمراض التي تكاد تعصف بالثروة الحيوانية في وقتنا المعاصر ؛ كجنون البقر ، وانفلونزا الطيور ، وحمى الوادي المتصدّع ، وغيرها من الأوبئة التي تحتاج إلى التوعية اللازمة ، وتوافر العلاج المطلوب لمقاومتها والقضاء عليها ، حتى لا يحصل عنها ما قد يترتب عليه اختلال التوازن البيئي وفقدان هذه الثروة .

وهنا يمكن القول : **إن مظاهر عناية الإسلام بالثروة الحيوانية تنطلق من كونها أحد عناصر النظام البيئي الرئيسة التي تستوجب الحفاظ عليها والعناية بها ؛ لاسيما وأنها توفر للإنسان كثيرا من المنافع المختلفة في حياته ، إضافة إلى أثرها الفاعل في الحفاظ على التوازن البيئي ، والعمل على حل بعض مشكلاته بصورةٍ مباشرةٍ أو غير مباشرة .**

= **ثالثاً : مظاهر عناية الإسلام بالثروة النباتية :**

دعا الإسلام إلى المحافظة على الثروة النباتية والمسطحات الخضراء ، والعناية بها ، وعدم العبث بما فيها من الأشجار والشجيرات والنباتات المختلفة ، أو التعدي عليها بأي صورةٍ من الصور لغير مصلحةٍ عامةٍ ، أو منفعةٍ بينةٍ ؛ لاسيما وأن كثيرا من أنواع النباتات تعد مصدرا هاما و ضروريا لحياة الإنسان الذي يعتمد عليها كثيرا في غذائه ، و دوائه ، و توفير متطلبات حياته المختلفة . ولذلك جاءت تعاليم الإسلام داعية إلى العناية والاهتمام بالنباتات ، و الإفادة من زراعة الأرض واستصلاحها فيما لا حُرمة فيه ، ولا نهي ، ولا شُبهه . فقد صحَّ عن جابر t أن النبي e قال :

" ***من كانت له أرضٌ فليزرعها ، أو ليمنحها أخاه فإن أبى فليُمسِك أرضه*** " (رواه البخاري ، الحديث رقم ٢٦٣٢ ، ص ٤٢٥) .

و عن أنس بن مالك t عن النبي e ، أنه قال :

" ***إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة ؛ فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها ؛ فليغرسها*** " (رواه البخاري في صحيح الأدب المفرد ، الحديث رقم ٣٧١ / ٤٧٩ ، ص ١٨١) .

كما صحَّ عن أنسٍ t قال : قال رسول الله e :

" ***ما من مُسلم يغرس غرسا ، أو يزرع زرعا فيأكل منه طيرٌ ، أو إنسانٌ ، أو بهيمة ؛ إلا كان له به صدقة*** " (رواه البخاري ، الحديث رقم ٢٣٢٠ ، ص ٣٧٢) .

وما ذلك إلا لأن " زراعة الأرض بما يحتاجه الإنسان والحيوان من غذاءٍ ومأكولاتٍ [يُعَدُ] أحد جوانب استثمارها ، واستعمارها ، والاستفادة من عطائها الوافر الغزير " (٧) .

وليس هذا فحسب ، فقد ورد التحذير و الترهيب من التعدي الجائر على الثروة النباتية بالقطع والإبادة ، لما جاء عن عبد الله بن حبشي أنه قال : قال رسول الله e :

" ***من قطع سِدرة صوب الله رأسه في النار*** " . سئل أبو داود عن معنى هذا الحديث فقال : هذا الحديث مختصر يعني من قطع سِدرة في فلاةٍ يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثا وظلما بغير حقٍ يكون له فيها ، صوب الله رأسه في النار . (أبو داود ، رقم الحديث ٥٢٣٩ ، ج ٤، ص ٣٦١) .

كما صح أن الخليفة الراشد أبا بكرٍ الصديق t أوصى أميرا من أمراء جنده فقال :

" .. وإني موصيك بعشرٍ ؛ لا تقتلن امرأة ، ولا صبيًا ، ولا كبيرًا هرمًا ، ولا تقطعن شجرًا مثمرًا ، ولا تخرِّبنّ عامرًا ، ولا تعقرنّ شاة ، ولا بعيرًا إلا لمأكُلةٍ ، ولا تحرقن نخلاً ، ولا تفرِّقنّه " (مالك ، رقم الحديث ٩٦٥ ، ج ٢ ، ص ص ٤٤٧ – ٤٤٨) .

وهكذا يتضح مما سبق أن عناية الإسلام بتنمية الثروة النباتية وحمايتها ، والحرص على زيادة رقعتها تنطلق من كون هذه " الأشجار والغابات الطبيعية تؤدي عملاً هاما في تنقية الهواء من الغبار المعلّق ، وتوقف كمياتٍ كبيرةٍ من الغبار الساقط ، كما تمتص الأشجار كمياتٍ كبيرةٍ من الغازات السامة " (٨) .

من ذلك كله ، يمكن القول :

إن الثروة النباتية بما فيها من أشجارٍ وشُجيراتٍ ومُسطحاتٍ خضراء تعد مكونا رئيسا من مكونات البيئة ، وموردا رئيسا من موارد غذاء الإنسان ، وحلاً مناسبا وملائما للكثير من مشكلات التلوث البيئي ؛ إضافة إلى كونها تسهم بفعالية في الحفاظ على التوازن البيئي المطلوب .

= **رابعاً : مظاهر عناية الإسلام بالهواء الجوي :**

تمثلت عناية الإسلام بالهواء الجوي والاهتمام بسلامته وحمايته من أسباب التلوث البيئي في صورٍ عديدةٍ منها :

(١) عناية الإسلام بمعالجة بعض مشكلات التلوث البيئي الذي ينتشر في الهواء الجوي عن طريق انتشار الأوبئة والأمراض المعدية التي تظهر في بقعةٍ معينةٍ أو مكانٍ ما من البيئة ؛ بأن منع خروج منهم في ذلك المكان إلى غيره من الأماكن ، كما أنه منع قدوم الناس إلى ذلك المكان الموبؤ ودخولهم إليه ؛ لأن هواءه ملوثٌ - في الغالب - بجراثيم مُمرضة . فقد صحّ عن أسامة بن زيد t أن النبي e قال :

" ***إذا سمعتم بالطاعون بأرضٍ فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرجوا منها*** " (رواه البخاري ، الحديث رقم ٥٧٢٨ ، ص ١٠١٢) .

وبذلك يكون الإسلام قد فرض منذ ما يزيد عن أربعة عشر قرنا من الزمان ما يُعرف في عصرنا **بالحجر الصحي أو العزل** الذي يمكن من خلاله حصر الأوبئة و الأمراض المعدّيَة في مكانٍ واحدٍ ، وبذلك يمكن الحد ـ بإذن اللّه تعالى ـ من وسائل نقلها وانتشار خطرها .

(٢) تحذير الإسلام من خطورة اندلاع الحرائق وما ينتج عنها من مخاطر و مضار كبيرة سواءً على الإنسان أو البيئة من حوله ، ولذلك جاء النهي النبوي الكريم عن ترك النار مشتعلة أثناء النوم ، فعن ابن عمرٍ (رضي اللّه عنهما) أن النبي e قال :

"***لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون***" (رواه البخاري ، الحديث رقم ٦٢٩٣ ، ص ١٠٩٥).

وصحّ عن أبي موسى t أنه قال : احترق بيتٌ بالمدينة على أهله من الليل فحُدّث بشأنهم النبيُ e قال :

"***إنّ هذه النار إنما هي عدوٌ لكم فإذا نمتم فأطفئوها عنكم***" (رواه البخاري ، الحديث رقم ٦٢٩٤ ، ص ١٠٩٥) .

وعن جابر بن عبد اللّه (رضي اللّه عنهما) قال : قال رسول اللّه e :

"***..وأطفئوا المصابيح ، فإن الفويسقة ربّما جرّت الفتيلة فأحرقت أهل البيت***" (رواه البخاري ، الحديث رقم ٦٢٩٥ ، ص ١٠٩٥) .

وقد أكد العلم الحديث أهمية هذا التوجيه النبوي الكريم في توفير أسباب ودواعي السلامة من الحرائق ؛ فقد ورد أنه "يمكن أن يُفسر سبب الأمر بإخماد النار ، وإطفاء السراج قبل النوم ، على أنه مدعاة لتجنب حدوث حريقٍ وانتشاره . فالفويسقة (وهي الفأرة) ربما عبثت بفتيلة السراج ، وتسببت بذلك في انسكاب زيت السراج على الأرض واشتعال النار فيه .. وهناك فائدة أخرى من إطفاء السراج ، وهي الاحتياط من حدوث تلوثٍ داخل المنزل نتيجة الاحتراق غير الكامل للوقود المستخدم في السراج ، وهو الأمر الذي يؤدي إلى إطلاق غاز أول أكسيد الكربون السام الذي يتسبب في الموت" (٩) .

(٣) الإشارة إلى الكيفية الصحيحة للتخلص من جُثث الموتى لمختلف الكائنات الحية ، وذلك عن طريق الدفن الذي يواري الأجساد الميتة في التراب ؛ فيتم بذلك التخلص من بعض أسباب التلوث البيئي ، وتتم حماية البيئة من كثيرٍ من المخاطر المحتملة التي تنشأ عن تحلل الجُثث ، وانتشار روائحها الكريهة .

وهنا يمكن ملاحظة أن مظاهر عناية الإسلام بالهواء الجوي ومنع تلوثه قد ركزت قديما على ما كان معروفا آنذاك من أسباب التلوث البيئي في هذا الجانب ، ولم تتطرق إلى غيرها من الأسباب المعروفة في عصرنا ، والتي جاءت نتاج تقنياتٍ صناعيةٍ حديثةٍ لم تكن معروفة من قبل .

= **خامساً** : **مظاهر عناية الإسلام بالثروة المائية** :

بلغت عناية الدين الإسلامي بالثروة المائية مبلغا عظيما ولاسيما أن الماء عنصرٌ ضروري ولازمٌ لكل الكائنات ؛ انطلاقا من قوله تعالى :{ **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ** }(**سورة الأنبياء : من الآية ٣٠**) .

ولذلك ورد النهي الشديد عن تلويث مصادر المياه بأي صورةٍ من الصور ؛ حيث أن الماء يُعد في الإسلام حقا مشاعا لجميع الكائنات الحية في البيئة ، وليس لأحدٍ أن يتصرف فيه بصورةٍ أو كيفيةٍ تؤثر على مصالح الآخرين ومنافعهم . فعن رجلٍ من المهاجرين من أصحاب النبي e قال : غزوت مع النبي e ثلاثا أسمعه يقول :

" ***المسلمون شُركاء في ثلاث ، في الكلأ ، والماء ، والنار*** " (رواه أبو داود ، الحديث رقم ٣٤٧٧ ، ج ٣ ، ص ٢٧٨).

ولهذا فإن للثروة المائية على وجه الخصوص أهمية كبرى " وهذه الأهمية والضرورة تقتضي من الإنسان حُسن التعامل معه ، وتوظيفه فيما خلق له ، وعدم تلويثه أو استنزافه لتظل الحياة والأحياء ، والاستفادة منه بحكمةٍ وتعقل ، والحرص على طهارته ونقائه ، حتى لا يكون بيئة صالحة للأمراض وتعايش الميكروبات والفيروسات ، ومن ثم يصبح مصدرا للهلاك والإهلاك " (٢٠) .

ونظرا لأهمية المصادر المائية وضرورة المحافظة على سلامتها ، وعدم تلويثها فقد نهى النبي e ، عن التبول أو التبرز في الماء حتى لا يتلوث ويُصبح استعماله ضارا و خطِرا على من يستعمله فيما بعد ؛ فعن أبي هريرة t أن النبي e قال :

" ***لا يبولنّ أحدُكم في الماء الدائم ، الذي لا يجري ، ثم يغتسل فيه*** " (رواه البخاري ، الحديث رقم ٢٣٩ ، ص ٤٤) .

كما صحّ عن جابر t عن رسول الله e أنه " نهى أن يُبَالَ في الماء الراكد " (رواه مسلم ، الحديث رقم ٦٥٥ ، ص ١٣٢) .

وما ذلك النهي النبوي الكريم إلا منعا لما يترتب على هذا السلوك من المخاطر الصحية ، و انتشار بعض الأمراض الخطيرة ، وهو ما أشارت إليه إحدى الدراسات التي أكدت أن " هناك أمراضا كثيرة تنتج عن الاستحمام في الماء الراكد الذي سبق التبول فيه ، من بينها : الكوليرا ، والبلهارسيا ، والأمراض المتوطنة و الخبيثة " (٢١) .

وفي حديثٍ آخر عن أبي هريرة t أن رسول الله e قال :

" ***اتّقوا اللعّانين*** " ، قالوا : وما اللعّانان يا رسول الله ! قال : " ***الذي يتخلى*** (أي يتغوط ويقضي حاجته) ***في طريق الناس ، أو في ظلهم*** " (رواه مسلم ، الحديث رقم ٦١٨ ، ص ١٢٧) .

وما هذا التحذير النبوي الكريم إلا لأنه " ثبت أن هذه الأعمال والتصرفات تسبب الأمراض الوبائية المتوطنة ، وتساعد على انتشارها ، ولا شك أن النهي عنها

ينسحب على جميع الملوثات الأخرى التي تضر بصحة الإنسان والحيوان وبقية المخلوقات " (١٣) .

ولعل خير دليلٍ على خطورة استخدام المياه الملوثة ، ارتفاع نسبة انتشار بعض الأمراض الناجمة عن ذلك التلوث ، كأمراض الكبد ، وأمراض الكُلى ، وغيرها من الأمراض الأخرى التي تهدد صحة الإنسان في أي زمانٍ ومكان . والتي تؤثر بدورها في حياة مختلف الكائنات الأخرى في البيئة .

ومما سبق يتضح أن عناية الإسلام بالثروة المائية تنطلق من كون الماء عنصرًا هامًا وحيويًا ولازمًا لاستمرار حياة مختلف الكائنات الحية التي تعتمد عليه اعتمادًا كبيرًا في معيشتها ، وهو أحد عناصر النظام البيئي الرئيسة التي يؤدي نقصه أو حدوث أي خللٍ فيه إلى كثيرٍ من المشكلات البيئية التي تعرِّض حياة الإنسان والحيوان والنبات للخطر والضرر .

= سادساً / مظاهر عناية الإسلام بالمُنشآت والمرافق العامة :

تمثلت عناية الإسلام بالمنشآت والمرافق العامة في العديد من التوجيهات النبوية الكريمة التي تدعو إلى ضرورة المحافظة عليها في أجمل صورها وأبهاها ، وعدم إهمالها أو العبث بها أو تشويه جمالها ، فعن معاذ بن جبلٍ t أن رسول اللّه e قال :

" *اتقوا الملاعن الثلاثة : البُراز في الموارد ، و قارعة الطريق ، و الظل* " (رواه أبو داود ، الحديث رقم ٢٦ ، ص ٧) .

وفي هذا الحديث تحذيرٌ شديد من إفساد وتلويث بعض المرافق العامة المتمثلة في موارد المياه التي يردها الناس للإفادة من مياهها ، والطرق التي لا يستغني عنها الناس لقضاء حوائجهم ومتطلبات حياتهم ، و أماكن الظل التي يرتادها الناس طلبا للراحة و المتعة .

كما أن في الحديث دعوة إلى العناية بهذه المرافق والمنشآت ، والمحافظة على سلامتها من التلوث البيئي الذي يؤدي إلى كثيرٍ من الأضرار الصحية التي تنتج عن ذلك حيث " يتسبب وجود البُراز في الماء في التلوث بالطفيليات و الفيروسات و الروائح الكريهة والبكتيريا . وحين يكون البراز بكمياتٍ كبيرةٍ كما هي في تصريف مياه المجاري إلى المسطحات المائية كالبحار ، والأنهار ، والبحيرات ، والجداول ؛ فإن ذلك يؤدي إلى استنزاف الأكسجين الذائب في مياه هذه المسطحات ، وذلك أثناء عملية التحلل البيولوجي للمواد العضوية الموجودة في مياه المجاري ، وهو أمرٌ يؤثر في حياة الأسماك و الأحياء المائية الأخرى " (١٤) .

ويأتي من أبرز مظاهر عناية الإسلام بالمرافق العامة ما جاء في الحث على نظافة وسلامة الطرقات وإماطة الأذى عنها ؛ فعن أبي هريرة t أنه قال : قال رسول اللّه e :

"***الإيمان بضعٌ وسبعون ، - أو بضعٌ وستون - شُعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياءُ شُعبة من الإيمان***" (رواه مسلم ، الحديث رقم ١٥٣ ، ص ص ٣٨ – ٣٩) .

وما صحَّ عن أبي برزة t أنه قال : قلت : يا نبي الله ! علمني شيئا انتفعُ به ، قال :

"***اعزِلِ الأذى عن طريق المسلمين***" (رواه مسلم ، الحديث رقم ٦٦٧٣ ، ص ١١٤٣) .

ومعنى (اعزل الأذى) أي الحث على إماطة وإزالة كل ما فيه أذىً أو مضرة للمسلمين سواءً كان قذرا ، أو جيفة ، أو خطرا ، أو شوكًا ، أو نحو ذلك مما قد يتسبب في إيذاء الناس وإلحاق الضرر بهم ماديًا أو معنويًا ؛ وما ذلك إلا لأن " من حق الإسلام على المسلم ألاَ يدَّخر وسعا في إماطة الأذى عن الطريق ليجد السالكون في نظافتها و طهارتها تلبية للفطرة السليمة ، وحماية لهذه الفطرة من أن تفسد برؤية الأذى " (١٤) .

ومما يتبع للمرافق والمنشآت الدور والأفنية والساحات والحدائق ، وما في حكمها من الأماكن و المرافق والميادين التي يُقيم الإنسان بين جنباتها بصورةٍ دائمةٍ أو مؤقتة ، والتي دعا الإسلام إلى الاهتمام و العناية بنظافتها والحرص على عدم تعرضها لأي نوعٍ من التلوث ، عن طريق المحافظة على نظافتها وسلامتها من صور العبث والتخريب والتشويه والإفساد ، ولاسيما " أن تراكم الأوساخ في البيوت يُعطي الحشرات والجراثيم مجالا رحبًا للازدهار والنمو ، فضلا عن انبعاث الروائح الكريهة التي تزكم الأنوف ، و تجعل البيوت مكانا لا يُطاق للإقامة فيها " (١٥) .

= **سابعاً / مظاهر عناية الإسلام بتوفير الهدوء والسكينة** :

نهى الإسلام عن كل ما من شأنه إحداث الضجيج والضوضاء والصخب ، وأمر بعدم رفع الأصوات عن القدر المعتاد لما يترتب على ذلك من إيذاءٍ للآخرين ، وإخلالٍ براحتهم ، وتلويثٍ مباشرٍ أو غير مباشرٍ لصفو حياتهم . وقد جاء الأمر بذلك في قوله تعالى : **{ وَاقصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ }** (**سورة لقمان :١٩**) .

كما صحَّ عن أبي موسى الأشعري أنه قال : كُنَّا مع النبي في سفرٍ فكنا إذا علونا كَبَّرنا فقال :

"***اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبا ، تدعون سميعا بصيرا قريبا***" (رواه البخاري ، الحديث رقم ٧٣٨٦ ، ص ١٢٧١) .

والمعنى أن منهج الدين الإسلامي ممثلا في الهدي النبوي المبارك ينهى الإنسان المسلم عن رفع الصوت وإحداث الجلبة والضجيج حتى عند الدعاء والذكر ؛ فكيف بباقي الأحوال الأخرى في حياة الإنسان اليومية ، وما ذلك إلا لأهمية المحافظة على الهدوء والسكينة في حياة المجتمع المسلم و بيئته التي يعيش فيها ؛

وبذلك يتمكن الجميع من أداء أعمالهم والقيام بواجباتهم ، و الاستمتاع بأوقات راحتهم ، و عدم الانزعاج أو القلق من الأصوات العالية والضوضاء التي أشارت بعض الأبحاث العلمية إلى أنها " تصيب الإنسان بالعديد من الأمراض التي قد تنتهي بالجنون أو الوفاة . فمن الممكن أن يفقد الإنسان قدرته على التركيز الذهني ؛ وبذلك يقل إنتاجه الفكري ، وتكثر الأخطاء . كذلك يؤدي الضجيج إلى إصابة الإنسان بالاكتئاب أو بأورام سرطانية قاتلة ، هذا بالإضافة إلى إصابة الإنسان بأمراض الأذن ، و تهيج الأعصاب وربما تلفها " [١٦] .

= **ثامناً / مظاهر عناية الإسلام بالحياة الفطرية** :

قرَّر الإسلام مبدأ الحفاظ على الحياة الفطرية (نباتية أو حيوانية) دون تدخلٍ بشريٍ جائرٍ ، حتى لا تتعرض للهلاك والانقراض ؛ ولتحقيق ذلك فقد " أدرك الإسلام أهمية الحياة البرية مثل : الحيوانات ، والطيور ، والأشجار الطبيعية ، والنباتات الرطبة ، والحشائش . ودعا للحفاظ عليها جميعا ، وعدم إتلافها ، أو تدميرها ، أو حرقها ، وعدم ذبح الحيوانات والطيور إلا للأكل . كذلك كان الإسلام أول من قرر مبدأ المحميات الطبيعية ، وأقام ثلاث محمياتٍ طبيعية في : الحرم المكي ، وحرم المدينة ، وحرمٌ آخر بالطائف ، وحدَّد حدودها ، و قدَّر أبعادها . وسن الإسلام التشريعات المناسبة لحماية الحياة البرية بهذه الأماكن المحرمة ؛ وبذلك كان له السبق في إدخال هذه التشريعات الحضارية المتقدمة للحفاظ على البيئة " [١٧] .

وهكذا يمكن القول : إن عناية الإسلام بالإنسان تتمثل في مظاهر عديدة تنطلق من كونه مخلوقا مكرما ومتميزا عن غيره من المخلوقات الأخرى ؛ الأمر الذي يجعله بمثابة القوة الإيجابية الفاعلة في الأرض ، فكان لزاما عليه أن يُحسن استثمار ما سخره اللّه تعالى له من الخيرات ، والنِعَم ، والموارد البيئية المختلفة ، وأن يضبط تصرفاته معها ، وأن يكون أمينا في تعامله معها دونما عبثٍ ، أو إفسادٍ ، أو إخلالٍ بنظامها الذي تعمل به وتسير عليه .

كما أن عليه العناية والاهتمام بنظافته الشخصية ، والحرص على نظافة بيئته المحيطة به ، والتحلي بالآداب الفاضلة والسلوكيات الحسنة التي تحد من انتشار بعض صور التلوث البيئي ، وتعمل على حماية البيئة منها .

وختاما ، فإن مظاهر عناية الدين الإسلامي الحنيف بمكونات البيئة المختلفة تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن مسئولية حماية البيئة والحفاظ عليها تنطلق من منظور إسلامي شاملٍ ومتكاملٍ يهتم بجميع جوانب حياة الإنسان ، ويُعنى بكل ما من شأنه تربية الإنسان التربية البيئية الصحيحة التي تقوم على أساس أن اللّه تعالى خلق البيئة وأودع فيها كل مقومات الحياة ، ثم سخرها ـ جل شأنه ـ للإنسان ليعيش فيها ، ويستثمر مكوناتها ومواردها في الوفاء بمتطلبات حياته ؛ وأنه ـ جلَّ في علاه ـ لم يتركه يتعامل معها تعاملاً عشوائيا ، وإنما

أرشده بطرقٍ ووسائل شتى إلى كيفية التعامل مع هذه البيئة من حوله بصورةٍ تكفل له حُسن استثمار مواردها ، والمحافظة على خيراتها ومكوناتها ، وترشيد استخدامها ليضمن بذلك استمرار عطائها ، وعدم استنزاف مواردها ، أو إهدارها والقضاء عليها .

ولذلك ، فقد جاءت تعاليم الدين الإسلامي الحنيف بالكثير من التوجيهات والتعاليم التي توضح للإنسان كيفية التعامل الصحيح مع البيئة بما فيها ومن فيها ؛ وترسم له الطريق الأمثل الذي ينبغي له أن يسير عليه ، وتبيِّن له المنهج الذي عليه أن يلتزمه في تعامله مع كل ما حوله من كائناتٍ ومكونات . وهو ما يمكن أن نعده نظاما ومنهجا متكاملا للتربية البيئية في الإسلام .

وفق اللّه الجميع لما فيه الهداية والرشاد ، والحمد للّه رب العباد .

=-=-=-=-=

=-=-=

=-=

= **الهوامش** :

١ـ سيد قطب . ***خصائص التصور الإسلامي ومقوماته*** . ط (٢) . القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٦٥م ، ص (١٨٦ – ١٨٧) .

٢ ـ عبد الوهاب رجب هاشم بن صادق . ***التلوث البيئي*** . الرياض : جامعة الملك سعود ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، ص (١٢) .

٣ ـ محمد مرسي محمد مرسي . ***الإسلام والبيئة*** . الرياض : أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ، مركز الدراسات والبحوث ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، ص (٤٥) .

٤ـ مختار سالم . *الإبداعات الطبية لرسول الإنسانية* . بيروت : مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ص (٦٤) .

٥ ـ حسين مصطفى غانم . ***الإسلام وحماية البيئة من التلوث*** . مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ص (٢٢٠ – ٢٢١) .

٦ـ إبراهيم بن عبد الله السماري . الإسراف في المجال البيئي وموقف الإسلام منه . ***رسالة الخليج العربي*** ، العدد (٥٥) ، الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ص (٧٦) .
٧ـ عبد الرحيم الرفاعي بكرة . ***أسس التربية البيئية في الإسلام*** ، الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، إدارة الثقافة والنشر ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، ص (٤١) .
٨ـ حسين مصطفى غانم . مرجع سابق ، ص (٦٠) .
٩ـ محمد عبد القادر الفقي . ***البيئة .. مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث" رؤية إسلامية"*** . القاهرة : مكتبة ابن سينا ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، ص (٢٢٢) .
١٠ـ عبد الرحيم الرفاعي بكرة .مرجع سابق ، ص (٤٦) .
١١ـ محمد مرسي محمد مرسي . مرجع سابق ، ص (١١٨) .
١٢ـ المرجع السابق ، ص (٣٨) .
١٣ـ المرجع السابق ، ص (١١٩) .
١٤ـ أحمد ربيع عبد الحميد خلف الله ، و السعيد محمود السعيد عثمان . التربية البيئية ـ دراسة لمعالجة بعض قضايا البيئة من منظور إسلامي . ***مجلة التربية*** ، العدد (٢٠) ، القاهرة : جامعة الأزهر : كلية التربية ، ١٤١١هـ /١٩٩١م ، ص (١٥٥) .
١٥ـ محمد عبد القادر الفقي . ***البيئة .. مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث" رؤية إسلامية"*** . القاهرة : مكتبة ابن سينا ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، ص (٢١٩) .
١٦ـ علي علي السُكري . ***البيئة من منظور إسلامي*** . الإسكندرية : منشأة المعارف ، ١٩٩٥م ، ص (٦١) .
١٧ـ المرجع السابق ، ص (٢٠) .

=-=-=-=-=

المـــــــــراجع :

١ـ القرآن الكريم .
٢ـ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري . (١٤١٩هـ / ١٩٩٩م) . ***صحيح البخاري*** . ط (٢) . الرياض : دار السلام للنشر والتوزيع .
٣ـ أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري . (١٤١٩هـ / ١٩٩٨م) . ***صحيح مسلم*** . الرياض : دار السلام للنشر والتوزيع .
٤ـ مالك بن أنس . (د . ت) . ***الموطأ*** . تصحيح وتخريج وتعليق : محمد فؤاد عبد الباقي . القاهرة : دار الحديث .
٥ـ سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني . (د . ت) . ***سُنن أبي داود*** . تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد . بيروت : دار الفكر .

٦ـ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي . (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) . ***سُنن النسائي (المجتبى)*** . تحقيق / عبد الفتاح أبو غدة . ط (٢) . حلب : مكتب المطبوعات الإسلامية .
٧ـ أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي . (د . ت) . ***الجامع الصحيح (سُنن الترمذي)*** . تحقيق / أحمد محمد شاكر وآخرون . بيروت : دار إحياء التراث العربي .
٨ـ محمد ناصر الدين الألباني . (١٤١٥هـ / ١٩٩٤م) . ***صحيح الأدب المفرد للإمام البُخاري*** . ط (٢) ، الجبيل : دار الصديق .

$ $
$

الفهرس

=-=-=-=-=

الرقم	عنوان الموضوع	رقم الصفحة
=	مقدمة	
١	أمانة الكلمة عند المبدع المسلم	
٢	المجالس الثقافية (ماهيتها ، خصوصيتها ، ودورها في نشر ثقافة الحوار الهادف)	
٣	من الملامح التربوية لشخصية	

	الشيخ / علي الطنطاوي	
٤	العلاقة بين علم التربية وعلم النفس	
٥	أيتام .. لكن عُظماء .. (الإمام أبو الفرج بن الجوزي) أنموذجًا	
٦	نحو تطوير معرفي إسلامي لمناهجنا الدراسية	
٧	من منافع الحج والعُمرة للتربية الجسمية عند المسلم	
٨	الأيام العشر من شهر ذي الحجة (فضلها ، خصائصها ،الدروس التربوية المستفادة منها)	
٩	نحو توجيه إسلامي للعلوم والمعارف	
١٠	المروءة .. آدابها و خوارِمها	
١١	من المنافع العُظمى للحج	
١٢	من دلائل الهدي التربوي في القرآن الكريم	
١٣	من صور الهدي التربوي النبوي .. الوصية النبويَّة p لا تغضب i	
١٤	من الآثار التربوية لسُنن الفطرة في حياة المسلم	
١٥	من مظاهر عناية الإسلام بالبيئة	